

الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية

REPUBLIQUE ALGERIENNE DEMOCRATIQUE ET POPULAIRE

MINISTERE DE L'ENSEIGNEMENT SUPERIEUR  
ET DE LA RECHERCHE SCIENTIFIQUE  
UNIVERSITE 8 MAI 1945 GUELMA  
Faculté des lettres et langues  
Département de la langue et littérature arabe



وزارة التعليم العالي والبحث العلمي  
جامعة 8 ماي 1945 قالمة  
كلية الآداب واللغات  
قسم اللغة والأدب العربي

الرقم: .....

مذكرة مقدمة لاستكمال متطلبات نيل شهادة  
الماستر  
تخصص: (أدب جزائري)

مقاربة أنتروبولوجية لرواية "العجر يحبون أيضا"  
لـ "واسيني الأعرج"

مقدمة من قبل:

الطالب: هيثم سعايدية  
الطالبة: زينب بو ذراع

تاريخ المناقشة: 2022/00/00

أمام اللجنة المشكلة من:

الاسم واللقب	الرتبة	مؤسسة الانتماء	الصفة
عبد المجيد بدر اوي	أستاذ محاضر -ب-	جامعة 8 ماي 1945 قالمة	رئيسا
نادية موات	أستاذ محاضر -أ-	جامعة 8 ماي 1945 قالمة	مشرفا ومقررا
أحلام عثمانية	أستاذ محاضر -أ-	جامعة 8 ماي 1945 قالمة	مناقشا

السنة الجامعية: 2022/2021

الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية  
وزارة التعليم العالي والبحث العلمي

جامعة 8 ماي 1945

تصريح شرفي خاص بالالتزام بقواعد النزاهة العلمية  
لإنجاز البحث

أنا الممضي أدناه،

السيد: هيثم سعايدية الصفة: طالبي جامعي (ماستر)  
الحامل لبطاقة التعريف الوطنية رقم: 1000 37 206 والصادرة بتاريخ: 16 - 03 - 2016  
المسجل بكلية: الآداب واللغات قالة قسم: الأدب واللغة العربية  
والمكلف بإنجاز مذكرة ماستر بعنوان:

مقاربة أنثروبولوجية لرواية داب الفجر يحبون أرضها  
لواليف الأندلس

أصرح بشرفي أنني ألتزم بمراعاة المعايير العلمية والمنهجية ومعايير الأخلاقيات المهنية والنزاهة الأكاديمية  
المطلوبة في إنجاز البحث المذكور أعلاه.

التاريخ: 16 جوان 2022  
السيد: هيثم سعايدية  
رقم بطاقة التعريف الوطنية: 1000 37 206  
صلاحيته: 16 / 03 / 2016  
عن: بلدية سوسشوف  
مجاز الصفاة في: 16 جوان 2022  
إمضاء المعني بشرفي

\* ملحق القرار الوزاري رقم 933 المؤرخ في 28 جويلية 2016 الذي يحدد القواعد المتعلقة بالوقاية من السرقة العلمية ومكافحتها

رئيس المجلس الشعبي البلدي  
د. بنزيون  
برجم بصيرة



الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية  
وزارة التعليم العالي والبحث العلمي

جامعة 8 ماي 1945 قلما

تصريح شرفي خاص بالالتزام بقواعد النزاهة العلمية  
لإنجاز البحث

أنا الممضي أدناه،

السيد: ..... بوذراع زوينب  
الصفة: ..... طالب  
..... هاسس 58 ..... جامعة 8 ماي 1945 - قلما  
الحامل لبطاقة التعريف الوطنية رقم: ..... 101933158 ..... والصادرة  
بتاريخ: ..... 2016 11 17 ..... المسجل  
بكلية: ..... الآداب والعلوم  
قسم: ..... اللغة والأدب العربي  
والمكلف بإنجاز مذكرة ماستر  
بعنوان: ..... مقارنة أدب بولونية لرواية "الغزير جيون  
أيضا" لواسيني الأخرج

أصرح بشرفي أنني ألتزم بمراعاة المعايير العلمية والمنهجية ومعايير الأخلاقيات المهنية  
والنزاهة الأكاديمية المطلوبة في إنجاز البحث المذكور أعلاه.

التاريخ: ..... 2021 06 17

إمضاء المعني



شهادة السيد بوذراع زوينب  
رئيس اللجنة الإدارية - عين الطلبة

السيد: بوذراع زوينب

السيد: .....  
المرفق: .....  
بطاقة: .....  
الرقم: .....  
التاريخ: .....  
من: .....  
بمناخ: .....  
\* ملحق القرار الوزاري رقم 933 المؤرخ في 28 جويلية 2016 الذي يحدد القواعد المتعلقة بالوقاية من السرقة

2016/11/17  
101933158  
15/6

\* ملحق القرار الوزاري رقم 933 المؤرخ في 28 جويلية 2016 الذي يحدد القواعد المتعلقة بالوقاية من السرقة

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ ﴿١﴾ خَلَقَ

الْإِنْسَانَ مِنْ عَلَقٍ ﴿٢﴾ اقْرَأْ وَرَبُّكَ الْأَكْرَمُ

﴿٣﴾ الَّذِي عَلَّمَ بِالْقَلَمِ ﴿٤﴾ عَلَّمَ الْإِنْسَانَ

مَا لَمْ يَعْلَمْ ﴿٥﴾ كَلَّا إِنَّ الْإِنْسَانَ لَيْطَغَى ﴿٦﴾

أَنْ رَأَاهُ اسْتَغْنَى ﴿٧﴾ إِنَّ إِلَىٰ رَبِّكَ الرُّجْعَى

﴿٨﴾ أَرَأَيْتَ الَّذِي يَنْهَى ﴿٩﴾ عَبْدًا إِذَا صَلَّى

﴿١٠﴾ أَرَأَيْتَ إِنْ كَانَ عَلَىٰ الْهُدَىٰ ﴿١١﴾ أَوْ أَمَرَ

بِالتَّقْوَىٰ ﴿١٢﴾ أَرَأَيْتَ إِنْ كَذَّبَ وَتَوَلَّىٰ ﴿١٣﴾

أَلَمْ يَعْلَمْ بِأَنَّ اللَّهَ يَرَىٰ ﴿١٤﴾ كَلَّا لَئِنْ لَمْ يَنْتَهِ

لَنَسْفَعًا بِالنَّاصِيَةِ ﴿١٥﴾ نَاصِيَةٍ كَاذِبَةٍ خَاطِئَةٍ

﴿١٦﴾ فَلْيَدْعُ نَادِيَهُ ﴿١٧﴾ سَدْعُ الزَّبَانِيَةِ ﴿١٨﴾

كَلَّا لَا تُطِعْهُ وَاسْجُدْ وَاقْتَرِبْ ﴿١٩﴾

# شكر و عرفان

اللهم لك الحمد كما ينبغي لجلال وجهك و عظيم سلطانك، حمدا كثيرا مباركا فيه

على أن يسّرت لنا انجاز هذا العمل.

فإن قلنا شكرا فشكرنا لن يفيكم، حقّا سعيتم فكان السعي مشكورا و إن جفّ

حبرنا عن التعبير يكتبكم قلب به صفاء الحب تعبيرا.

نتقدم بالشكر الخالص إلى أستاذتنا المشرفة "نادية موات" و ذلك لقاء جهدها و

مساهمتها لإخراج هذا العمل بهذه الصّورة، كما نشكر جميع أساتذة و عاملي كلية

الآداب و اللغات 8 ماي 1945، و كلّ من ساعدنا من قريب أو من بعيد، إلى

كلّ من أوصلنا إلى ما نحن عليه

فلكم منا كلّ الاحترام و التقدير.

هيثم سعايدية

زينب بو دراع

المقدمة

## مقدمة:

إن الأدب في أشهر مفاهيمه هو نمط من أنماط التعبير يعكس تجربة إنسانية صادقة، تنقل بالأساس مشاعر الأديب و ما تجيش به من آمال و آلام، و بما أن الأديب ابن بيئته فهو بالضرورة سيولي عناية لكل تفصلات مجتمعه من أحوال اجتماعية و سياسية و ثقافية، حيث يضعها في قالب فني ألا و هو الرواية و التي ليست مجرد عمل إبداعي للتسلية بقدر ما هي تصوير للواقع و نقل لحقائق اجتماعية و نفسية و سياسية و ثقافية عايشها الأديب، و لكل رواية مجتمعه الذي هو نتيجة تفاعل الواقعي بالتخييلي و الذي يسلط الروائي من خلاله الضوء على الإنسان في عاداته و تقاليد و أعرافه و ثقافته، باحثا عن هويته المتجسدة في من خلال فنونه و حرفه و طعامه و لباسه و كل متعلقاته.

لهذا كانت الرواية مجالا خصبا و ميدانا لنوع من الدراسات يعنى بالإنسان هو الأنثروبولوجيا التي هي علم واسع ذو شمولية على عديد العلوم، و التي جعلت من الإنسان موضوع بحث لها من حيث هو منتج للثقافة و كائن اجتماعي بطبعه له دين و عادات و تقاليد...

سلطت رواية العجر يجبون أيضا لواسيني الأعرج الضوء على مجتمع العجر على اعتبار أنه أكثر الشعوب الإنسانية معاناة من العنصرية و الإضطهاد و التهميش، مجتمع عابر الثقافات قائم على التنقل، و يتميز بقدر من الخصوصية في طريقة تفكيره المتمسكة بقيم الحب و الحرية و اللذان يعدان أكبر قيمتان إنسانيتان يسعى إليها مجتمع العجر، فالعجر يقدسون الحرية أكثر من الدين. فجاءت الرواية لتكسر نمطية أن العجر مجتمع متطفل ذو صفات دنيئة ليست لهم ديانة. فحاول الروائي الإنتصار لهم و رد الاعتبار لهذا المجتمع مستدعيا عناصر الأنثروبولوجيا (عادات، تقاليد، لباس، معتقدات...)

و قد جاء بحثنا الموسوم بـ"مقاربة أنثروبولوجية لرواية العجر يجبون أيضا" لواسيني الأعرج ليجيب على جملة من الإشكالات نلخصها فيما يلي:



ماهي الأنثروبولوجيا؟ لماذا ركز واسيني الأعرج على المظاهر الأنثروبولوجية في روايته؟ و ما الغاية من توظيفها؟ و فيما تمثلت هذه العناصر؟ و كيف استطاعت أن تبرز خصوصية العجر؟

و يتمحور هدف هذه الدراسة في السعي إلى تحقيق أهداف أساسية أبرزها:

- 1- تبيان نجاعة القراءة الأنثروبولوجية في استنطاق مكونات الخطابات الروائية الجزائرية.
- 2- الكشف عن البنيات الاجتماعية، و الثقافية المتوارية خلف متن رواية العجر يحبون أيضا لواسيني الأعرج.
- 3- محاولة تقديم قراءة أنثروبولوجية ملمة بالمجتمع العجري.

و يعود سبب اختيارنا للموضوع لعدة أسباب يمكن عددها فيما يلي:

- 1- رغبتنا في الإنفتاح على عوالم سردية مغايرة تتجاوز مجرد الركون عند عتبة الجمالية السردية و قد كانت رواية واسيني الأعرج العجر يحبون أيضا -بالنسبة لنا- بوابة الانفتاح على قضايا الانسان بمختلف أبعادها الاجتماعية، الثقافية، الدينية .... تأكيدا على أن الأدب ليس حالة إبداعية فقط، إنما هو ظاهرة أنثروبولوجية من شأنها احتواء الواقع الاجتماعي.
- 2- قلة الدراسات التي اهتمت بالمجتمع العجري و تفاصيل حياته.
- 3- قلة الدراسات الأنثروبولوجية للخطابات الروائية خاصة من الجانب التطبيقي.
- 4- اهتمامنا به الذي يرجع لكونه يستوعب جميع متعلقات الإنسان من ثقافة و فكر و معتقد.

و لتحقيق الأهداف السابقة تمّ تحديد عنوان البحث بـ:

### مقاربة أنثروبولوجية "لرواية العجر يحبون أيضا" لـ"واسيني الأعرج"

و قد وضعنا خطة لضبط و تنظيم مسار البحث مكونة من: تمهيد، و فصلين نظري و تطبيقي، مسبقة بمقدمة، و مذيلة بخاتمة.

الفصل الأول (النظري) تناولنا فيه مفهوم الأنثروبولوجيا و نشأتها منذ أن كانت مجرد مدونات إلى أن أصبحت علما مستقلا بذاته، و اعتمدنا على تقسيم عيسى الشماس في تقسيم مراحل نشأتها، ثم تطرقنا لأقسام و فروع الأنثروبولوجيا، و علاقتها بالعلوم الأخرى عامة و بالنص الأدبي (الرواية) خاصة.

أما الفصل الثاني (التطبيقي) فجاء بعنوان أنثروبولوجيا المضامين الاجتماعية و الثقافية في رواية "العجر" يحبون أيضا" استهليلناه بتمهيد صغير تضمن دلالة العنوان و نبذة عن مجتمع العجر و باقي الفصل كان عبارة عن تحليل أنثروبولوجي لمختلف النظم الاجتماعية و الثقافية من عادات و تقاليد و فنون ضمنها الكاتب في الرواية أبرزت لنا خصوصية المجتمع العجري.

و قد ذيل البحث بخاتمة عامة أمت بالنتائج التي توصلنا إليها من خلال المقاربة الأنثروبولوجية للخطاب الروائي -العجر يحبون أيضا- لواسيني الأعرج.

لقد استلزمت التقسيمات السابقة على مستوى الفصول اعتماد مقولات المنهج الأنثروبولوجي آلية للقراءة و التأويل كمنهج فعال في استنطاق مضمرة الخطاب السردي في الرواية، و بعض مقولات المنهج التاريخي في تتبع أصول العجر و نسبهم، بالإضافة إلى المنهج الاجتماعي و الوصفي من خلال وصف مختلف المظاهر الحياتية، و خصوصية العادات و التقاليد المنتشرة لدى العجر، إلى تظافر مقولات السيميائية و علم النفس قصد تقديم قراءة منفتحة على العديد من المظاهر الثقافية و الاجتماعية.

و من أبرز المراجع و الدراسات التي ساعدتنا في مجال التحليل الأنثروبولوجي: دراسة لعياد أبلال عنونها أنثروبولوجيا الأدب، دراسة حميد الهاشمي بعنوان تكيف العجر - دراسة أنثروبولوجية اجتماعية لجماعات الكاولية في العراق- بالإضافة إلى كتاب كلود ليفي ستراوس المعنون ب: الأنثروبولوجيا البنيوية، كتاب عيسى الشماس المعنون ب: مدخل إلى علم الإنسان، و كتاب جمال حيدر المعنون ب: العجر ذاكرة الأسفار و سيرة العذاب ...

و لم يخلو بحثنا من صعوبات رافقتنا في مسار إنجازهِ أبرزها قلة الأبحاث التطبيقية فيما يخص دراسة الخطابات الروائية أنثروبولوجيا و انفتاح الأنثروبولوجيا على مجالات متنوعة: علم النفس و الاجتماع و الفلسفة و الدين و التاريخ ... و كثرة المعلومات و اتساعها مما صعب علينا الإلمام بها و غريبة ما يخدم موضوعنا.

و لا يسعنا ختاماً سوى التذكير بمجهودات الدكتورة **نادية موات** التي رافقتنا في بحثنا منذ أن كان فكرة، فتبلور خطة، ثم بحثاً، فلها منا كل الشكر والتقدير، كذلك نتقدم بالشكر الجزيل لأعضاء لجنة المناقشة لقبولهم مناقشة عملنا المتواضع هذا، جازاهم الله كل خير.

# الفصل النظري

أولاً: مفهوم الأنثروبولوجيا

ثانياً: النشأة

ثالثاً: فروع الأنثروبولوجيا

1- الأنثروبولوجيا الاجتماعية

2- الأنثروبولوجيا الثقافية

3- الأنثروبولوجيا اللغوية

رابعاً: أهداف الأنثروبولوجيا

خامساً: علاقة الأنثروبولوجيا بالنص الأدبي

سادساً: علاقة الأنثروبولوجيا بالعلوم الأخرى

## تمهيد

يعتبر الإنسان مصدرا للتساؤلات و الدراسات و موضوعا للتأملات و التكهينات في الكثير من العلوم الطبيعية و الإنسانية، و من بين العلوم التي اهتمت بالإنسان الذي هو مادة ثرية و خصبة في مجال بحثها علم الأنثروبولوجيا " Anthropology "، حيث لم يكن "ماركو بولو" و لا "ابن بطوطة" و لا غيرهم من الرحالة الأوائل يعلمون أن ملاحظاتهم الميدانية عن الشعوب و الأجناس البشرية التي صوروها أثناء زيارتهم لبلدان مختلفة ستكون مجالا خصبا لعلم جديد بعد خمسة أو ستة قرون، حيث يسعى هذا العلم إلى دراسة تنوع و تعدد الأجناس البشرية و معرفة الفروق القائمة بين هذه الأجناس و العوامل المؤدية إلى هذه الاختلافات و التباين في شتى المجالات الدينية و الثقافية و الاجتماعية و اللغوية.

## أولا: مفهوم الأنثروبولوجيا

الأنثروبولوجيا علم واسع متعدد الأقسام و التفرعات، ذو شمولية على كل العلوم؛ فهي جعلت من الإنسان موضوع بحث لها من حيث هو منتج للثقافة و كائن اجتماعي بطبعه له دين خاص و معتقد معين. و لعل من أعسر الأمور المنهجية في العلوم الإنسانية هو ضبط و تحديد المفاهيم، خاصا و أننا إزاء علم غزير و متشعب كالأنثروبولوجيا.

1- لغة: لعل أهم التعاريف تذكر أن لفظة أنثروبولوجيا 'Anthropology' هي

"كلمة إنجليزية مشتقة من أصل يوناني مكون من مقطعين 'أنثروبوس' 'Anthropos' و معناه الإنسان و 'لوغوس' 'Logos' و معناه علم و بذلك يصبح معنى الأنثروبولوجيا من

حيث اللفظ 'علم الإنسان' أي العلم الذي يدرس الإنسان<sup>1</sup> حيث تدرس الإنسان من حيث صفاته الجسمية كلون البشرة و القامة، أي من الناحية الطبيعية كما تدرس الإنسان من حيث عاداته و تقاليدته أي من الناحية الثقافية و الاجتماعية و تهتم بمعتقداته و ديانته و كل ما هو مقدس بالنسبة له أي من الناحية الدينية، و بالتالي فهي تهتم بمختلف مظاهر الحياة اليومية للإنسان.

يرد تعريف و معنى الأنثروبولوجيا في معجم المعاني الجامع - معجم عربي\_عربي - "أنثروبولوجيا: (اسم): علم الإنسان. علم يبحث في أصل الجنس البشري وتاريخ تطوره و أعراقه و عاداته و معتقداته"<sup>2</sup>.

أما في معجم اللغة العربية فإننا نجد المفهوم ذاته حيث "أنثروبولوجيا (مفرد): علم الإنسان، علم يبحث في أصل الجنس البشري وتاريخ تطوره و أعراقه و عاداته و معتقداته و علاقاته و توزيعه الجغرافي، و في السلالات البشرية و خصائصها و مميزاتا"<sup>3</sup> و نجد تقريبا نفس المفهوم في باقي المعاجم العربية على حد سواء.

2- **إصطلاحاً:** أما من الناحية الاصطلاحية فنجد أنفسنا أمام عدة تعاريف مختلفة هي آراء للنقاد، لا تختلف في جوهرها لكننا نجد تبايناً طفيفاً في مضمونها و هذا لشساعة هذا العلم و تفرعه و شموليته على عدة علوم أخرى كما أشرنا سابقاً فنجد "أدوارد تايلور" Edward Burnet Tylor (1833-1917)<sup>4\*</sup> يعرف الأنثروبولوجيا فيقول "فهو البيوثقافية المقارنة للإنسان إذ يحاول الكشف عن العلاقة بين المظاهر البيولوجية الموروثة

<sup>1</sup> عيسى الشماس، مدخل إلى علم الإنسان، اتحاد الكتاب العرب، دمشق، سوريا، د.ط، 2004، ص 13.

<sup>2</sup> <https://www.almaany.com/ar/dict/ar-ar>.

<sup>3</sup> <https://www.maajim.com/dictionary>.

<sup>4</sup> تايلور: بريطاني أصبح أستاذاً في الأنثروبولوجيا، ساعدت دراساته في تحديد مجال الأنثروبولوجيا، و هو من أهم المؤسسين لها، أشهر كتبه الثقافة البدائية 1871. <https://www.ar.m.wikipedia.com> (إدوارد تايلور).

للإنسان و ما تلقاه من تعلم و تنشأة اجتماعية<sup>1</sup> فهي تهتم بالمظاهر الاجتماعية و الثقافية للإنسان و تبحث في العلاقة القائمة بين الثقافة و المجتمع الذي يعيش فيه الإنسان و أيهما أشد تأثيرا في حياة الفرد، هل الثقافة أم المجتمع؟.

و تقدم "مارجريت ميد" "Margaret Mead" (1901-1978)<sup>2\*</sup> مفهوما واسعا للأنثروبولوجيا فتقول "تعني نصف الخصائص الإنسانية و البيولوجية و الثقافية للنوع البشري عبر الأزمان في سائر الأماكن، و تحلل الصفات البيولوجية و الثقافية المحلية كأنساق مترابطة و متغيرة و ذلك عن طريق نماذج و مقاييس و مناهج متطورة كما تهتم بوصف و تحليل النظم الاجتماعية و التكنولوجية"<sup>3</sup> فقد اهتمت بالإنسان من جانب بيولوجي شكلي مثل الجسد و اختلاف البنية الجسدية من شعب لآخر و من جنس لآخر، حيث نجد الإنسان الحالي يختلف عن الإنسان البدائي، و جسم المرأة أيضا يختلف عن جسم الرجل الذي يمتاز بالصلابة و القوة عكس المرأة الذي يتميز بالضعف و اللينة، كما تهتم بالأمراض مثل نقص المناعة و ظاهرة السمنة و هل هي وراثية أم مكتسبة؟.

## ثانيا: النشأة.

تصنف الأنثروبولوجيا ضمن أحدث العلوم الاجتماعية على الإطلاق و رغم حداثة هذا العلم الذي لم يتبلور بوصفه دراسة لها قواعد و أسس منهجية ثابتة إلا في حدود و أواخر القرن التاسع عشر، فإننا نجد علم متكامل من حيث الدراسة؛ يهتم بكل أصناف و أعراق البشر في جميع القرون

<sup>1</sup> عيسى الشماس، مدخل إلى علم الإنسان مصدر سابق ص 09.

<sup>2</sup> مارجريت ميد: هي عالمة أنثروبولوجيا ثقافية ظهرت بشكل متكرر في الإعلام العام بصفتها مؤلفة و محدثة، شغلت ميد منصب رئيس الجمعية الأمريكية للتقدم في العلوم. <https://www.ar.m.wikipedia.com> (مارغريت ميد).

<sup>3</sup> حسين فهيم، قصة الأنثروبولوجيا، سلسلة كتب ثقافية شهرية، المجلس الوطني، للثقافة و الفنون و الأداب، الكويت، (د.ط)، 1978، ص 13، 14.



و بكل فروعها سواء الاجتماعية، الثقافية، السياسية أو الدينية و غيرها حيث تدرس الماضي و الحاضر و تناولت المجتمعات البدائية حتى قبل ظهور الأنثروبولوجيا كعلم مستقل بذاته، كما نجد العديد من الباحثين و المهتمين من علماء و رحالة عبر التاريخ ممن كانوا يهتمون بالإنسان في هيئته و عاداته و طرق عيشه راصدين أهم الفروقات على مر العصور و الحقب و من أهم من مهد للأنثروبولوجيا و نظر لها "هيرودوتس" "Herodotus" (5 ق.م) و "هوميروس" "Homeros" (8 ق.م) و "ابن بطوطة" و "ابن خلدون" (1322-1406م) و غيرهم و قد مرت نشأة الأنثروبولوجيا بمراحل عدة.

و قد اعتمدنا في تقسيمها لمراحل نشأة الأنثروبولوجيا على تقسيم الباحث عيسى الشماس حيث يتميز تقسيمه بالدقة و الوضوح و يتجلى ذلك فيما يلي:

### 1. العصر القديم

- عند الإغريق
- عند الرومان
- عند الصينيين القدماء

### 2. العصور الوسطى

- في أوروبا
- عند العرب

### 3. عصر النهضة الأوروبية

## 1- في العصر القديم:

الأنثروبولوجيا في العصر القديم أو ما يطلق عليه بالشعوب البدائية حيث نجد أن أقدم رحلة خاضها الإنسان و دونها تعود إلى "الرحلة التي قام بها المصريون القدامى حوالي سنة (1943

ق.م) من موطنهم الأصلي إلى بلاد بونت أو 'الصومال' حاليا لأهداف تجارية تتمثل في مبادلتهم سلعهم مع الشعوب الأخرى على متن خمس مراكب على متن كل واحد منها (31) راكبا و ذلك بهدف تسويق بضائعهم النفيسة ... و نتج عن هذه الرحلة اتصال بين المصريين القدماء بأقزام إفريقياو تأكيدا لإقامة علاقات معهم فيما بعد فقد صورت النقوش في معبد الدير البحري"<sup>1</sup>.

### أ- عند الإغريق (اليونان القدماء)

من أشهر رحالة هذا العصر نجد "هيرودوتس" "Herodatus" (5 ق.م) "كان رحالة محبا للأسفار، أول من صور أحلام الشعوب و عاداتهم و طرح فكرة الفوارق فيما بينها، من الجوانب السلالية و الثقافية و اللغوية و الدينية، و كذلك يعتبره معظم مؤرخي الأنثروبولوجيا الباحث الأنثروبولوجي الأول في التاريخ، فهو أول من قام بجمع معلومات وصفية دقيقة لعدد كبير من الشعوب الأوروبية (حوالي 50 شعبا) حيث تناول بالتفصيل تقاليدهم و عاداتهم و ملامحهم الجسمية و أصولهم السلالية"<sup>2</sup> و من ذلك مثلا وصفه لمصر و أحوال شعبها و قال مقولته الشهيرة 'مصر هببة النيل' فقد قارن بين الشعوب الأوروبية و مصر "حيث قارن بين المصريين و سكان أوروبا من حيث الملامح الجسمية الشكلية و الاختلاف في البنية و لون الشعر و البشرة و القامة و هذا ما يطلق عليه حديثا بالأنثروبولوجيا الطبيعية أو الفيزيقية"<sup>3</sup>. كما يقول في مقارنته بين بعض العادات الإغريقية و الليبية "يبدو أن ثوب أثيناو درعها و تماثيلها نقلها الإغريق عن النساء الليبيات غير أن لباس الليبيات جلدي و أن عتبات دروعهن المصنوعة من جلد الماعز ليست ثعابين [...] و من الليبيين تعلم الإغريق كيف يقودون العربات ذات

<sup>1</sup> عيسى الشماس، مدخل إلى علم الإنسان، مرجع سابق، ص20.

<sup>2</sup> عيسى الشماس، مدخل إلى علم الإنسان، مرجع سابق، ص23.

<sup>3</sup> خواجة عبد العزيز بن محمد، محاضرات في الأنثروبولوجيا الاجتماعية و الثقافية، غرداية، الجزائر، (د.ط)، 2014-2015، ص15.

الخيول الأربعة"<sup>1</sup> فمن خلال القولين السابقين نجد أنه قارن بين العديد من الشعوب من حيث عاداتهم و تقاليدهم و لباسهم و مدى قوة التأثير و التأثير بين الشعوب المختلفة من حيث اللغة و الدين و العوامل البيئية و الجغرافية و استفادة كل شعب من حضارة و ثقافة الآخر و هو ما يوافق حديثا الأنثروبولوجيا الاجتماعية و الثقافية.

## ب- عند الرومان

تابع الرومان ما طرحه اليونان من نظريات حول المجتمع و الإنسان و تفسير الاختلاف و التباين فيما بينها فنلاحظ أنهم اعتمدوا على "النماذج المثالية للحياة الإنسانية و طبيعتها بل و جهود دراستهم نحو الواقع الملموس و المحسوس"<sup>2</sup>. فالرومانيون لم يقدموا اسهامات كبيرة في نشأة علم مستقل لدراسة الشعوب و ثقافتها، إذ اهتموا بالجانب المادي العسكري و الحرب.

لكن يمكن أن نستثني من ذلك أشعار "لوكيتوس" "حيث تناول البيت السادس تطور الإنسان و فكرة العقد الاجتماعي و نظام الملكية و نشأة اللغة و معالجة موضوع العادات و الفنون و الأزياء"<sup>3</sup> فهو اهتم بالإنسان من حيث اللغة و العادات و الفنون و الأزياء و كل هذه المضامين يمكن أن ندرجها ضمن الدراسة الأنثروبولوجية. و منه يمكن القول أن الرومان رغم بساطة التفكير لديهم و عدم رقيه إلا أنهم اهتموا بالإنسان و تطوره و توجهوا نحو تقسيم الشعوب و تصنيفها.

## ت- عند الصينيين القدماء

بعث شعور الصينيين القدماء بأفضليتهم و تفوقهم عن غيرهم فيهم الراحة و الطمأنينة "كان الصينيون القدماء يشعرون بالأمن و الهدوء داخل حدود بلادهم و كانوا مكثفين ذاتيا من الناحية الاقتصادية المعاشية [...] من دون أن يكون لها تأثيرات

<sup>1</sup> خواجة عبد العزيز بن محمد، محاضرات في الأنثروبولوجيا الاجتماعية و الثقافية، مرجع سابق، ص 16.

<sup>2</sup> حسين فهيم، قصة الأنثروبولوجيا، مرجع سابق، ص 47.

<sup>3</sup> حسين فهيم، قصة الأنثروبولوجيا، مرجع سابق، ص 48.

ثقافية عميقة"<sup>1</sup> لهذا لم يهتم الصينيون القدماء بالشعوب الأخرى و لا بحضاراتهم فهم يعتقدون أنهم أفضل الخلق "لذا امتنعوا من الاحتكاك بالحضارات الأخرى و أقاموا لأنفسهم صور الصين العظيم كي لا يدنس الآخرون تراجمهم و اكتفوا ببعض المبادلات التجارية"<sup>2</sup>.

و منه نجد أن الدراسات الأنثروبولوجيا شبه منعدمة عند الصينيين القدماء و إن وجدت فهي تتسم بالازدراء و الاحتقار للشعوب الأخرى.

## 2- في العصور الوسطى

تمتد هذه الفترة ما بين القرن الرابع إلى الرابع عشر ميلادي، تتراوح من نهاية الإمبراطورية الرومانية الغربية (ق 476/5م) حتى بداية الكشوفات الجغرافية الأوروبية و عودة النزعة الإنسانية و حركة الإصلاح الديني و هي ما يطلق عليها بعصور الظلام في الحضارة الأوروبية في حين يقابل هذه الفترة ازدهار الحضارة الإسلامية و تقدمها و تطورها (عصر التطور و الرقي).

### أ- العصور الوسطى في أوروبا

إن سيطرة الكنيسة في هذه الفترة أدى إلى تدهور التفكير، حيث دخلت أوروبا في فترة زمنية كبيرة ترتبط عادة في أذهان الأوروبيين بالنكسة الحضارية و الارتداد بالفكر إلى حقبة مظلمة تعرف هذه الحقبة بالعصور الوسطى فأصبحت الحياة العامة جد متدهورة و انتشر الظلم و القتل و الجهل، لكن رغم كل هذا نجد بعض الدراسات و الكتابات عن بعض الشعوب و من بين هذه الكتابات:

■ الموسوعة التي كتبتها "إسيدور" "Isidore" (560-636م) "وصف

فيها عادات و تقاليد عدة شعوب بطريقة جد عفوية و إن كانت متحيزة و

<sup>1</sup> عيسى الشماس، مدخل إلى علم الأنسان، مرجع سابق، ص 23.

<sup>2</sup> خواجه عبد العزيز بن محمد، مرجع سابق، ص 18.

سطحية ليصل إلى نتيجة تتمثل في أن الانحطاط يقاس بمدى ابتعاد الشعوب عن "المركز" و الذي يقع في أوروبا فكلما ابتعدت هذه الشعوب عنها كانت أكثر تدهورا و تخلفا"<sup>1</sup>.

- كذلك الموسوعة التي كتبها الفرنسي "باتولو ماكوس" "Macus" "لقد عرفت انتشارا شعبيا و رواجاً كبيراً لكن محتواها لا يختلف كثيراً عن سابقتها في الاعتماد على التصورات الخيالية"<sup>2</sup> فالمحاولات الموجودة في هذه الفترة كانت بسيطة تعتمد على التخيل دون المعاشة.
- كما "اتجه المفكرون خلال تلك العصور إلى تقديم تفسيرات قائمة على الانحياز العنصري و الديني، و ساد ما يشار إليه بنظرية الارتداد أو الانتكاس الحضاري "Culturaldage" و التي تذهب إلى أن بعض السلالات و خاصة بعض الشعوب غير الغريبة قد تدهورت من الحالة المثلى التي خلق الله الإنسان عليها إلى حالة أو مستوى حضاري أدنى أو أخط بكثير من مجتمعات غرب أوروبا و ذلك بسبب ما قاموا به من أفعال شريفة"<sup>3</sup> و هو ما يؤكد على غياب الموضوعية أثناء دراسة الشعوب الأخرى حيث طغت الذاتية و التحيز على جل الدراسات في هذا العصر فكانت دراسات سطحية تفتقد إلى الموضوعية و تعتمد على الوصف.

<sup>1</sup>خواجة عبد العزيز بن محمد، مرجع سابق، ص18.

<sup>2</sup>خواجة عبد العزيز بن محمد، مرجع سابق، ص21.

<sup>3</sup>حسين فهيم، قصة الأنثروبولوجيا، مرجع سابق، ص43.

## ب- نشأة الأنثروبولوجيا عند العرب

بينما كانت أوروبا تعيش ما يطلق عليه بالعصور المظلمة، ازدهرت الحضارة الإسلامية حيث انتشر الإسلام خاصة بعد فتح مكة عام (7هـ/632م) و سنعرض أهم الأعمال ذات الصلة بالأنثروبولوجيا فيما يلي:

- معجم البلدان لشهاب الدين أبو عبد الله ياقوت بن عبد الله حمودي (574-626هـ).
- أبو الريحان محمد بن أحمد البيروني (362-440هـ) في وصف العمران و الأقاليم في كتابه "تحرير ما للهند مقولة مقبولة في العقل أو مردولة" و الذي صور فيه المجتمع الهندي بكل أبعاده خاصة فيما يتعلق بدياناته و عاداته و معتقداته و مختلف الأنماط الثقافية و النظم الاجتماعية السائدة فيه متوصلا إلى أن الدين أو المعتقدات تشكل أكبر معيق لتطور هذا المجتمع و أكبر موجه لسلوك الأفراد و الجماعات فيه، و هو عمل يعكس حالة من التقدم في الفهم الانثروبولوجي و ممارسة الأنثوغرافي إلى درجة بعيدة.
- رحلة محمد بن عبد الله بن محمد بن ابراهيم اللواتي الطنجي المعروف "بابن بطوطة" في كتابه "تحفة النظار في غرائب الأمصار و عجائب الأسفار" التي تميزت بالطابع الأنثروبولوجي و اهتمام صاحبها بالشعوب في حياتها اليومية و أنماط الشخصيات السائدة فيها و سلوكياتهم و قيمهم و عاداتهم، حيث يقول "ابن بطوطة" في حكاية الرقص على النار "كنت مرة بموضع "أفقانبور" [...] و وصل إلى هناك جماعة من الفقراء في أعناقهم أطواق من الحديد و في أيديهم، و كبيرهم رجل أسود حالك اللون و هم من طائفة الحيدرية (طائفة صوفية تنسب إلى المؤسس قطب الدين حيدر) و طلب مني كبيرهم

أن آتية بالحطب ليوقده عند رقصهم فكلفت والي تلك الجهة و هو عزيز المعروف بالخمار أن يأتيه بالحطب فوجه منه نحو عشرة أحمال فأضرموا فيه النار بعد صلاة العشاء الآخرة حتى صارت جمرا و أخذوا في السماع ثم دخلوا في تلك النار و ما زالوا يتمرغون و يرقصون فيها حتى طفت تلك النار<sup>1</sup>.  
 قدم ابن بطوطة وصف لهذه الجماعة و هي فقيرة، وصف كبيرهم رجل أسود حالك اللون، تحدث عن عاداتهم و هي الرقص على النار، و كذلك توحى كلمة كبيرهم إلى أنهم كانوا قبيلة ما، كما لم يهمل الجانب الديني فصرح بأنها طائفة صوفية تنتسب إلى قطب الدين حيدر. و كلها تدخل ضمن الأنثروبولوجيا التي تهتم بعادات الشعوب و تقاليدهم و دياناتهم و ثقافتهم.

■ مقدمة بن خلدون. و هي جزء من كتابه "العبر و ديوان المبتدأ و الخبر في أيام العرب و العجم و البربر و من عاصرهم من ذوي السلطان الأكبر".

و قد قسم ابن خلدون مقدمته "إلى ستة فصول:

○ الفصل الأول: «في قسط العمران من الأرض و ما فيها من الأقاليم

و تأثير الهواء في ألوان البشر و أخلاقهم و اختلاف أحوال من

الخصب و الجوع و ما ينشأ عن ذلك من الآثار في أبدان البشر

و أخلاقهم».

○ الفصل الثاني: «في العمران البدوي و الأمم الوحشية و القبائل و ما

يعرض في ذلك من المباحث في طبيعة البداوة و الحضارة و الفرق

بينهما من حيث الأنساب و العصبية و الحسب و السياسة».

<sup>1</sup>الطننجي(شمس الدين أبي عبد الله محمد بن عبد الله اللواتي)، تحفة النظار في غرائب الأمصار و عجائب الأسفار، تر: عبد الله النازي، الرباط، المملكة المغربية 1997م، مج2، ص10.

- الفصل الثالث: «في الدول العام و الملك و الخلافة و المراتب السلطانية و أسباب السيادة و تشييد الدول و كيف تحفظ الإمارة و شروط السلطة و الخلافة.
- طبائع الملك و ومعنى البيعة و ولاية العهد».
- الفصل الرابع: «في البلدان و الأمصار و سائر العمران و المدن و الهياكل و نسبتها إلى الدول و ما يجب مراعاته في وصفها من حيث البر و البحر».
- الفصل الخامس: «في المعاش و وجوه من الكسب و الصناعات [...] كالزراعة و العمارة و النسيج، التوليد و الطب و الوراقة و الغناء و غيره».
- الفصل السادس: «في العلوم و أصنافها و التعليم و طرقه و سائر وجوهه و نسبة التعليم إلى الحضارة و الكلام في كل علم على حدى و تاريخه و شروطه»<sup>1</sup>.

فقد اهتم ابن خلدون بالموضوعات التي حصلت على اهتمام الأنثروبولوجيا و علماء الأنثروبولوجيا و تتجلى تلك العلاقة بين البنية الجغرافية و الظواهر الاجتماعية فقد رد ابن خلدون استنادا إلى تلك الدعامة "اختلاف البشر في ألوانهم و أمزجتهم النفسية و صفاتهم الجسمية و الخلقية راجع إلى البنية الجغرافية التي اعتبرها أيضا عاملا هاما في تحديد المستوى الحضاري

<sup>1</sup> ابن خلدون الحضرمي الإشبيلي، رحلة ابن خلدون، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط1، 2004م، ص05.



للمجتمعات الإنسانية<sup>1</sup> و هنا نرى أن ابن خلدون اهتم بعلاقة البيئة بالظواهر الاجتماعية و أمزجة البشر النفسية.

و عموماً نجد أن ابن خلدون قد ركز اهتماماته على:

✓ علاقة البيئة بالعادات و التقاليد و أثرها على الجسم من لون و قوة

و ضعف و غيرها.

✓ تطور الأمم من البداوة إلى الحضارة و الفرق بينهما.

✓ تطرق كذلك للعمران و العلوم و الثقافة و هي كلها عبارة عن

مضامين أنثروبولوجيا ساهمت في توفير مادة أنثروبولوجية ثرية حول

الأنماط المعيشية و الثقافية بمعالجة عديد المظاهر التي تدخل ضمن

الدراسة الأنثروبولوجية.

### 3- في عصر النهضة

يتفق المؤرخون على أن عصر النهضة في أوروبا بدأ في نهاية الرابع عشر ميلادي، حيث شرع الأوروبيون بعملية دراسة انتقائية للعلوم و المعارف الإفريقية و العربية، مترافقة بحركة ريادية نشطة للاستكشافات الجغرافية "حيث قام رحالة برتغاليون وإسبان و غيرهم بمغامرة في المحيطات المجهولة آنذاك حتى وصلوا إلى العالم الجديد. فبدأ حينئذ تراكم سيره معرفة جديدة من شعوب العالم كالهنود الحمر في أمريكا، و شعوب جزر البحار الجنوبية و شعوب غرينلاندا التي تصيد الفقمة و الرنة"<sup>2</sup> فهذه التغيرات مجتمعة أدت إلى ترسيخ عصر النهضة أو ما يسمى (عصر التنوير) و "أسهمت في بلورة الأنثروبولوجيا في نهاية القرن التاسع عشر كعلم يدرس

<sup>1</sup> ابن خلدون عبد الرحمان، مقدمة ابن خلدون، تحقيق: علي عبد الواحد واقي، القاهرة، مصر، (د.ط)، 1966م، ص291.

<sup>2</sup> بيرني ج. بيلنو، دراسة أنثروبولوجية (المفهوم و النشأة) تر: كاظم سعد الدين، بيت الحكمة، العراق، ط1، 2010م، ص35.

تطور الحضارة البشرية في إطارها العام عبر التاريخ الإنساني، و بهذا سعت الدول الأوروبية إلى التوسع اقتصاديا و سياسيا من خلال الشعوب الأخرى و عملت جاهدة من أجل معرفة أنماط عيشها وتفكيرها"<sup>1</sup>.

و لعل أهم رحلة استكشافية مشهورة أثرت في علم الأنثروبولوجيا قام بها "كريستوف كولومبوس" "Christophe Colompus" إلى القارة الأمريكية ما بين (1492-1502م) حيث زحرت مذكراته و مشاهداته و احتكاكاته بسكان العالم الجديد "بالكثير من المعلومات و المعارف عن أساليب حياة تلك الشعوب و عاداتها و تقاليدها، أتسمت بالموضوعية نتيجة المشاهدة المباشرة، و هكذا كان لرحلات كولومبوسو اكتشافه العالم الجديد أثرها الكبير في ادخال أوروبا حقبة جديدة، في تغيير النظرة إلى الإنسان عامة و الإنسان الأوروبي خاصة، مما أثر في الفكر الأنثروبولوجي"<sup>2</sup> و نجد أيضا من الأعمال التي ساهمت في التراكم المعرفي للأنثروبولوجيا:

- أعمال "جان جاك روسو" "J. J. Rousseau" التي تضمنت مادة أنثوغرافية ثرية عن المقارنات التي أجريت بين المجتمعات المكتشفة و المجتمعات الأوروبية.
- أعمال "جورج هيغل" "G. Hegal" (1770-1831م) و "جوهان هيردر" (1762-1814م) ممن يفتقدون في صفاء و نقاء الشعب الألماني على شعوب العالم.
- "أما كتابات "جوهان هيردر" (1733-1803م) فجاءت لتعزز فكرة التمايز بين السلالات البشرية من ناحية التركيب الجسمي و التفاوت فيما بينها بمدى التأثير بمظاهر المدينة"<sup>3</sup>.

<sup>1</sup> بيروني ج. بيلنو، دراسة أنثروبولوجية (المفهوم و النشأة)، مرجع سابق، ص36.

<sup>2</sup> عيسى الشماس، مدخل إلى علم الإنسان، مرجع سابق ص19، 20.

<sup>3</sup> عيسى الشماس، مدخل إلى علم الإنسان، مرجع سابق ص22.

كل هذه الأعمال كانت هي البذور الأولى التي مهدت للأنثروبولوجيا في شكلها الحالي، و رغم النهضة التي عرفتها أوروبا في القرن الثامن عشر و التاسع عشر التي مست جميع القطاعات و المجالات إلا "أن الحرب العالمية الأولى و نواتجها جعلت المفكرين ينقسمون إلى قسمين شق متشائم إلى ما وصلت إليه البشرية يرى مستقبلها مخفياو غامضا [...] و شق آخر متفائل يرى مستقبل الإنسانية أكثر إشراقا"<sup>1</sup> و في ظل هذه التحولات نشأت الأنثروبولوجيا باعتبارها علما مستقلا بذاته و قد مر بمرحلتين:

- أ- **مرحلة التأسيس النظري:** "خلال هذه الفترة ظهرت العديد من الدراسات الأنثروبولوجية الدقيقة و التي أسست لهذا العلم، لكن أصحابها لم يجروا الأبحاث الميدانية بأنفسهم و إنما اعتمدوا على الرحالة المستكشفين"<sup>2</sup> في هذه المرحلة التمهيديّة اعتمد الأنثروبولوجيون على الرحلات و قاموا بدراساتها بالتحليل و المقارنة لكن أعمالهم كانت بعيدة كل البعد عن المعاشة و التطبيق و الوصف المباشر و من الأعمال التي ظهرت في هذه المرحلة نذكر:
- "إدوارد برونيت تايلور" في كتابه "الحضارة البدائية".
  - "جوهان مالكيينا" في كتابه "الزواج البدائي" 1865.
  - "جيمس فريزر" الأسكتلندي في كتابه الشهير "الغصن الذهبي".

- ب- **مرحلة الأعمال الميدانية:** في هذه المرحلة ظهر فرع الأنثروبولوجيا كتخصص مستقل عن غيره من العلوم و المقاربات، وبدأ الأنثروبولوجيون يهتمون بالجانب الميداني من خلال المعاشة و الملاحظة للظواهر المختلفة، فقد كانت محاولة عالم الاجتماع الفرنسي "ميشيل دي مونتاني" (1532-1592م) الذي أجرى مقابلات مع مجموعة من السكان الأصليين في أمريكا. وبعد أن جمع منهم

<sup>1</sup>خواجة عبد العزيز بن محمد، مرجع سابق، ص33.

<sup>2</sup>خواجة عبد العزيز بن محمد، مرجع سابق، ص33، 34.

المعلومات عن العادات و التقاليد السائدة في موطنهم الأصلي، خرج بالمقولة التالية "أنه لكي تفهم العالم فهما جيدا لابد من دراسة التنوع الحضاري للمجتمعات البشرية و استقصاء أسباب التنوع"<sup>1</sup> و بهذا تكون دراسة أسلوب الحياة و العادات و التقاليد تهدف إلى الوصول إلى نظرية النظم الاجتماعية، و هنا يمكن القول: "إن الأنثروبولوجيا المتحررة التي ظهرت اتجاهاتها و قضاياها الإنسانية منذ انتهاء الحرب العالمية الثانية تجد في الكتابات الفرنسية في عصر التنوير جذورا أو أصولا نظرية لمنطلقاتها الفكرية"<sup>2</sup> أي أن الفكر الأنثروبولوجي الذي ساد في عصر التنوير في أوروبا شكل ملامح النظرية الأولى لعلم الأنثروبولوجيا، الذي بدأ يستقل بذاته مع بدايات القرن العشرين، و يتبلور بمنطلقاته و أهدافه في النصف الثاني من القرن ذاته، فهي مرحلة التخصص و "مرحلة ذات مظاهر متعددة أولها التمييز بين الأنثروبولوجيا و الأنثوغرافيا، و لقد عرف "كلود ليفي ستراوس" الإثنولوجيا بأنها فرع من العلوم البشرية تتناول معرفة مجمل طبائع كل عرق لوضع الخطوط العامة لبنية المجتمعات و تطورها و تطابق الإثنولوجيا تقريبا ما تعنيه الأنثروبولوجيا الاجتماعية و الثقافية"<sup>3</sup>.

<sup>1</sup> حسين فهميم، قصة الأنثروبولوجيا، مرجع سابق، ص 101.

<sup>2</sup> رالف لينتون، الأنثروبولوجيا و أزمة العلم الحديث: تر: عبد المالك الناشف، المكتبة العصرية، بيروت، لبنان، (د.ط)، 1967م، ص 16.

<sup>3</sup> كلود ليفي ستراوس، الأنثروبولوجيا البنوية، تر: د. مصطفى صالح، منشورات وزارة الثقافة و الإرشاد القومي، دمشق، سوريا، د.ط، 1997م، ص 15.

## ثالثا: فروع الأنثروبولوجيا

## 1- الأنثروبولوجيا الاجتماعية (Socionthropology)

تعرف بأنها ذلك الفرع من علم الإنسان الذي يتناول المؤسسات الاجتماعية للشعوب البدائية، أي أنها دراسة البناء الاجتماعي الذي يتخذ في العادة شكل النظم الاجتماعية: كالقراية، العائلة، المصاهرة، آفات اجتماعية كالفقر، البطالة وغيرها، وهي "مصطلح يطلق على التراث المهيمن في الأنثروبولوجيا البريطانية و ذلك وفقا لتأكيد العلماء البريطانيين على مفاهيم مثل: المجتمع، البناء الاجتماعي و التنظيم الاجتماعي"<sup>1</sup> و معنى هذا الأنثروبولوجي الاجتماعي يفكر في المجتمع و ليس في ثقافته، فهو يعمل على اكتشاف هذا النظام و تفسيره، كما أنها تهتم بدراسة العلاقة القائمة بين أفراد المجتمع لاسيما المجتمعات البدائية التي يظهر فيها بوضوح تكامل وحدة البناء الاجتماعي.

فالسلك الاجتماعي الذي يحكم الفرد يبنى على عوامل يسمح للمجتمع بالتعمير و الاستمرار و التأقلم عبر الزمان، و يعتبر "السير جيمس فريزر" "Sir James Frazer" أول من استخدم الأنثروبولوجيا الاجتماعية و الذي اشتغل أستاذا لهذا الفرع بجامعة ليفربول (1908). و يعرفها بأنها "محاولة علمية لكشف ما يسميه (بالقوانين العامة) التي تحكم الظواهر المختلفة في حياة الإنسان و تفسر ماضي الظواهر للتمكن على ضوءها التنبؤ بمستقبل المجتمعات البشرية استنادا إلى الإدراك الدقيق لتلك القوانين السوسولوجية العامة التي تنظم حياة الإنسان عبر الزمان"<sup>2</sup> أي هي دراسة سلوك الأفراد و حياتهم بحكم انتمائهم إلى مجتمع معين و تبيان القوانين و المبادئ التي يخضع لها أفراد هذا المجتمع بحكم هذا الانتماء.

<sup>1</sup> محمد الجوهري، المفاهيم الأساسية في الأنثروبولوجيا (مدخل لعلم الإنسان)، جامعة الإسكندرية، مصر، (د.ط)، 2008م، ص47.

<sup>2</sup> أحمد بن نعمان، سمات الشخصية الجزائرية من منظور الأنثروبولوجيا النفسية، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، (د.ط)، 1988م، ص12.

فإذا كان موضوع الأنثروبولوجيا الاجتماعية هو السلوك الاجتماعي للكائنات الإنسانية فهي عند ليفي ستراوس: "فرع من فروع السميولوجيا "Sémiologie" و هذا معناه أن اهتمامه ينصب على البناء المنطقي الداخلي لمدلولات الرموز فأنساق الزواج في المجتمعات المختلفة تعتبر متغيرات لبناء منطقي عام مستمر"<sup>1</sup> و هذا يعني أن الباحث الأنثروبولوجي يبنى دراسته على أساس منطقي وفق رموز و دلالات و هذا ما نجد في السميولوجيا و لذلك اعتبر الأنثروبولوجيا فرعاً منها.

## 2- الأنثروبولوجيا الثقافية

تعرف الأنثروبولوجيا الثقافية أو (علم الإنسان الثقافي) بأنها العلم الذي يدرس الإنسان من حيث هو عنصر و كائن ثقافي في المجتمع يتحلى بعادات و تقاليد و قيمو يتحدث بلغة مجتمعه، فهي تدرس أساليب حياة الإنسان و تحدد الخصائص المتشابهة بين الثقافات. و قد ظهر علم الإنسان الثقافي أو الأنثروبولوجيا الثقافية كفرع مستقل بذاته عن الأنثروبولوجيا العامة إلا في القرن التاسع عشر "و يعود الفضل للعالم الإنجليزي "إدوارد تايلور" و الذي قدم أول تعريف شامل للثقافة عام 1871 في كتابه "الثقافة البدائية"، و قد مرت الأنثروبولوجيا الثقافية بمراحل متعددة منذ ذلك الحين حتى وصلت إلى ما هي عليه في العصر الحاضر"<sup>2</sup> فقد جاء السير إدوارد تايلور بأوائل العبارات التي تحمل المعنى الأنثروبولوجي لمصطلح الثقافة عندما كتب في الصفحة الأولى من كتابه الصادر عام 1871 "الثقافة أو الحضارة، المأخوذة بمعناها الواسع و الأنثوغرافي هي تلك الكلية المعقدة التي تشمل المعرفة و المعتقدات و الفن و الأخلاق و القانون و العرف و أي قدرات و عادات أخرى يكتسبها الإنسان كعضو في المجتمع"<sup>3</sup> أي

<sup>1</sup> عبد الوهاب جعفر، البنيوية في الأنثروبولوجيا و موقف سارتر منها، دار المعرفة، الإسكندرية، 1980م، ص108.

<sup>2</sup> إبراهيم ناصر، الأنثروبولوجيا الثقافية (علم الإنسان الثقافي)، عمان، بيروت، (د.ط)، 1985م، ص21.

<sup>3</sup> علم الإنسان الثقافي [ar-m-wikipedia.org](http://ar-m-wikipedia.org).

أنها الكل المركب الذي يشمل على عديد العناصر من فن و معتقدات و قوانين و نظم و أخلاق، ففي ظل هذا التنوع و الكثرة التي تشتمل عليها الثقافة فإن الأناسة الثقافية (الأنثروبولوجيا الثقافية) تظم الفروع التالية، علم الأعراق، علم الآثار، اللغويات، فالإنسان كائن ثقافي حامل للثقافة يعيش في كنفها تحافظ عليه و يحافظ عليها كما أنه ناقل لها عبر الأجيال المختلفة، نظرا لأن هذا الفرع يهتم بالثقافة و السلوك الإنساني فإنه يهتم بماضي الإنسان و حاضره.

و يعتبر "فرانس بواس" "Franz Boas" (1808-1942م) من الرواد الأوائل كذلك للأنثروبولوجيا الثقافية و ذلك من خلال كتابه "الفن البدائي" 1927 " حيث اعتبر أغلب الباحثين أن هذا التاريخ تحديدا هو تاريخ ظهور و نشأة الأنثروبولوجيا الثقافية على اعتبار الأهمية التاريخية لمنجزات بواس في حقل الأنثروبولوجيا خاصة و أنه من الأوائل الذين اعتقدوا عمليا أن الأفراد في مختلف الأعراق البشرية يمتلكون القدرة ذاتها على التطور الفكري و الحضاري"<sup>1</sup>.

## أ- أقسام الأنثروبولوجيا الثقافية:

تنقسم إلى عدة فروع أساسية و هي:

\* الأثنولوجيا.

\* الأركيولوجيا أو علم الآثار.

\* اللغويات.

\* الأنثروبولوجيا السيكولوجية.

<sup>1</sup>علاء جواد كاظم، الفرد و المصير، بحث في الأنثروبولوجيا الثقافية، التنوير، بيروت، لبنان، ط1، 2011م، ص34.

## ■ الأثنولوجيا

ويقوم هذا العلم " بدراسة الشعوب و هذا ما يعنيه الأصل اليوناني "إثنوس" "Ethnos" و هو الأصل الذي صدرت عنه كلمة الأثنولوجيا و تعني كلمة "Ethnos" اليونانية دراسة الشعوب"<sup>1</sup> و هو علم يهتم بدراسة و وصف الثقافات المختلفة أينما وجدت سواء في القارات أو الصحاري أو الجزر المنعزلة.

## ■ الأركيولوجيا أو علم الآثار

و هو الفرع الذي يهتم بدراسة الماضي أو الثقافات البائدة "تشتق كلمة أركيولوجيا من اليونانية القديمة "Anchaioi" بمعنى قديم و "Logia" بمعنى دراسة أو علم و على هذا يعنى المعنى الحرفي للكلمة "دراسة القديم" و الأركيولوجيا عموما دراسة الإنسان على أوسع نطاق بحيث تشمل هذه الدراسة على محاولة التعرف على حياته اليومية، عاداته الدينية، فنونه، صناعاته، مواطن الإقامة، و الأنشطة التي مارسها و علاقته بالبيئة البسيطة"<sup>2</sup>. و بهذا فإن الأركيولوجيا تقطع شوطا كبيرا في المساهمة في الكشف و البحث في تاريخ الثقافة الإنسانية.

## ■ اللغويات.

تعتبر دراسة اللغويات مدخلا مهما في فهم شكل الحياة الاجتماعية و الثقافية في المجتمع إذ "تعد اللغة هي الأداة التي بها ينقل الناس معارفهم و معتقداتهم و عاداتهم من جيل لأخر، و بفعل اللغة يستطيع كل جيل أن ينقل ميراثه بطريقة رمزية إلى الجيل الناشئ من خلال اللغة استطاع الإنسان أن يجعل نفسه سيدا على الحيوانات

<sup>1</sup>نخبة من أعضاء هيئة التدريس بقسم الأنثروبولوجيا، مقدمة في الأنثروبولوجيا، دار الجامعية، 2010م، ص92.

<sup>2</sup>المرجع نفسه، ص98.



الأخرى و أن يطور ذلك الكل المركب من المعارف و السلوك الماهر الذي تطلق عليه الحضارة الثقافية<sup>1</sup>. و بهذا اللغة ظاهرة إنسانية فريدة من نوعها و هي همزة الوصل بين مختلف العلوم و الأجيال و الحضارات.

### ■ الأنثروبولوجيا السيكولوجية

و يقوم هذا العلم بدراسة "الخصائص العقلية و السلوكية السائدة في مختلف الأنماط الثقافية و في هذا الصدد يقول راد كليف: «عندما ندرس سيكولوجية الفرنسيين أو الألمان أو الأمريكيين فإننا نعني بهذه الدراسة أن نعالج الخصائص العقلية و الأنماط السلوكية الناجمة عن شوط الحياة في نسق اجتماعي معين بالذات»<sup>2</sup> و بهذا فأنثروبولوجيا السيكولوجيا تشرح استجابة العوامل السيكولوجية في العمليات الثقافية كما تدرس أي تأثير للممارسات الثقافية في العمليات النفسية مثل الإدراك و الانفعالات، أي ردة فعل الشخصية.

### 3- الأنثروبولوجيا اللغوية

و هي فرع من فروع الأنثروبولوجيا تهدف إلى دراسة اللغة و ارتباطها بالثقافة فاللغة كما قلنا سابقا هي إحدى وسائل التواصل بين الناس، بها يعبر الإنسان عن أحاسيسه و أفكاره، "إن الأنثروبولوجيا اللغوية مجال حقول متداخلة من المعرفة يعني أنها تستمد الكثير من مجالات أخرى مستقلة و بالأخص من المجالين علم اللغة و الأنثروبولوجيا و لمصطلح الأنثروبولوجيا اللغوية تسمية أخرى تعرف بالأنثروبولوجيا الألسنية الاثنية، ما يميز الأنثروبولوجيين اللغويين عن باقي

<sup>1</sup>نخبة من أعضاء هيئة التدريس بقسم الأنثروبولوجيا، مرجع سابق، ص102.

<sup>2</sup>نخبة من أعضاء هيئة التدريس بقسم الأنثروبولوجيا، مرجع سابق، ص107.

من يدرس اللغة لا يكمن فقط في اهتمامهم بكيفية استعمال اللغة فباحثون لهجاتيون و بالأخص الألسنيون يهتمون باللغة كمجموعة من وسائل رمزية تدخل في مكونات المجتمع<sup>1</sup> و عليه فإن الأنثروبولوجيا اللغوية تسمح لنا بمعرفة:

- "كيف الأفراد يفكرون في ما يجبون و ما يشعرون به في أي جانب.
- البيئة أو المحيط و الجانب الاجتماعي (دراسة الأدب ليس المكتوب فقط بل كذلك الشفوي).
- كيف يعبرون عن معارفهم و مهاراتهم<sup>2</sup>

فالأنثروبولوجيا اللغوية تهتم بعنصر حيوي من عناصر الثقافة و هو اللغة، فهي أداة لنقل الأفكار و تهتم بالبحث عن أصول اللغة و أشكالها الرمزية، فاللغة ظاهرة سيكولوجية ثقافية مكتسبة، و التعبير من خلال الكلمات أو الإشارات أو الرموز أو الصور، كما أن الأنثروبولوجي اللغوي في بحثه يهتم بأصول تاريخ اللغات و بأشكالها الرمزية. "ويأتي اهتمام علماء الأنثروبولوجيا بلغات الجماعات البشرية المختلفة لما تمثله هذه الأخيرة من أداة اتصال فعالة في تفاعل الأفراد مع بعضهم البعض و مع غيرها و ما تساهم به في التطور الاجتماعي و الثقافي و عامل جوهري في كيان و هوية الجماعات الإنسانية و الدولة و المجتمع ككل إذ أن اللغة هي المظهر الخارجي، للتعبير عن الذات و الشخصية"<sup>3</sup>.

فالأنثروبولوجيا اللغوية تدرس اللغة من كل جوانبها و تاريخها و ثقافتها نشأتها و تطورها، ليس فقط من الناحية الأدبية و الفنية.

و يرى علماء الأنثروبولوجيا اللغوية أن اللغة في تطورها مرت بأربعة مراحل:

<sup>1</sup> أليكسندرو دورانت، تر: فرانك درويش، الأنثروبولوجيا الألسنية بين النهضة، بيروت، ط1، 2013م، ص19-22.

<sup>2</sup> جمال معنوق، الأنثروبولوجيا الفروع و المداخل النظرية، دار الكتاب الحديث، ط1، 2016م، ص153.

<sup>3</sup> مصباح عامر، مدخل إلى الأنثروبولوجيا، دار الكتاب الحديث، 2009م، ص64.

- المرحلة الأولى: حاول الإنسان التعبير عما يريد به برسم الأشياء.
  - المرحلة الثانية: هي تقليد صوت الشيء المراد العبير عنه مثل تقليد أصوات الحيوانات.
  - المرحلة الثالثة: هي معرفة الإنسان للغة و الرموز.
  - المرحلة الرابعة: هي معرفة الكتابة، و تعتبر الكتابة قفزة كبيرة في تاريخ الإنسانية
- ساعدت على تسجيل التراث الحضاري و قد عرف الإنسان الكتابة منذ أربعة آلاف سنة<sup>1</sup>.

و عليه الأنثروبولوجيا اللغوية من أهم الفروع التي تدرس اللغة بصفاتها وسيلة تواصل و معرفة، تدرسها من جميع خلفياتها الأدبية الثقافية الاجتماعية و نشأتها و تطورها فهي تدرس البناءات و الأنساق اللغوية السائدة في المجتمع.

#### رابعاً: أهداف الأنثروبولوجيا

تتمثل أهداف الأنثروبولوجيا فيما يلي:

- ✓ "وصف المظاهر البشرية و الحضارية وصفا دقيقا و ذلك عن طريق معايشة الباحث المجموعة أو الجماعة المدروسة و تسجيل كل ما يقوم به أفرادها من سلوكيات في تعاملهم في الحياة اليومية.
- ✓ تصنيف مظاهر الحياة البشرية و الحضارية بعد دراستها دراسة واقعية و ذلك للوصول إلى أنماط إنسانية عامة في سياق الترتيب التصوري الحضاري العام للإنسان.

<sup>1</sup> راغب أحمد الخطيب، دراسة في علم الاجتماع، دار الإعصار العلمي للنشر و التوزيع، عمان، ط1، 2011م، ص128.

✓ تحديد أصول التغيير الذي يحدث للإنسان و أسباب هذا التغيير و عملياته بدقة عملية و ذلك بالرجوع إلى التراث الإنساني و ربطه بالحاضر من خلال مقارنة و إيجاد عناصر التغيير المختلفة<sup>1</sup>.

✓ "و يبدو أن التباين العرقي بين بني البشر هو الخاصة البيولوجية التي تستأثر باهتمام العام الحديث، أكثر من سائر الخواص البيولوجية الأخرى عند الإنسان، و يبذل المصنفون العرقيون محاولات دانية للتوصل إلى تصنيف عرقي مثالي فكان من نتائج انشغال علماء الأنثروبولوجيا الجسمية يشكل عرق<sup>2</sup> و بهذا فإن الأنثروبولوجيا تهدف إلى معرفة كلية شمولية للإنسان في علاقته بامتداداته التاريخية و محيطه الجغرافي، سواء عند الشعوب البدائية أو الشعوب المعاصرة.

### خامسا: علاقة الأنثروبولوجيا بالنص الأدبي:

عرفت الأنثروبولوجيا بتبادلها و علاقتها بالوسائط المعرفية من علوم كثيرة، و لاجرم أن الأدب مجمل للأفكار و المعارف، يعتمد على الأحاسيس و الوقائع و الخيال به يعبر الناس عن مختلف التصورات و التمثيلات فهو يرتبط بشتى العلوم من علم اجتماع، فلسفة، أنثروبولوجيا و غيرها، فالأدب نقطة تقاطع منهجيات بطرحه للقضايا الاجتماعية و العلمية و حتى النفسية، و من هنا نطرح الإشكاليات التالية:

ما هو الأدب؟ و ما علاقة الأنثروبولوجيا به؟ و ما علاقتها مع الأجناس الأدبية (رواية)؟.

<sup>1</sup> سيدي ادريس عمار، الأنثروبولوجيا و جغرافية السكان، دار الحامد للتوزيع و النشر، الأردن، عمان، ط1، 2015م/1436هـ، ص24.

<sup>2</sup> جمال معتوق، الأنثروبولوجيا الفروع و المداخل النظرية، دار الكتاب الحديث، القاهرة، 2016م/1437هـ، ص26.

## 1- مفهوم الأدب:

**لغة:** "رياضة النفس بالتعليم و التهذيب على ما ينبغي، و حمله ما ينبغي لبني الصناعة أو الفن أن يتمسك به، كأدب القاض، أدب الكاتب، الجميل من النظم و النثر و كل ما أنتجه العقل الإنساني من ضروب المعرفة و علوم الأدب عند المتقدمين تشمل: اللغة، الاشتقاق، النحو، المعاني و البيان، البديع و العروض و القافية و الخط و الإنشاء و المحاضرات"<sup>1</sup>.

**إصطلاحاً:** "كلمة أدب "Litératur" في الإنجليزية "Littérature" في الفرنسية مأخوذة من "Litéra" و هو كذلك توشي بالأدب المكتوب أو المطبوع لكن يجب أن يشمل تعريف الأدب الملفوظ كذلك"<sup>2</sup> فالأدب شكل من أشكال التعبير و التواصل الإنساني، سواء المكتوب أو المنطوق فهو يعبر عن عواطف الإنسان و أفكاره و خواطره و قد ورد في تعريف آخر له "إنه فن من الفنون التي تصور الحياة و أحداثها بما فيها من أفراح و أحزان و آمال و آلام، من خلال ما يختلج في نفس الأديب و يجيش فيها من عواطف الإنسان و أفكاره بأسلوب جميل و صورة بديعية و خيال رائع"<sup>3</sup> يُعدُّ الأديب صياغة فنية لتجارب الحياة سواء أكانت ذاتية أو موضوعية تلازمها شخصية الأديب بلمساته و طابعه الخاص و لغته المعرفية.

## 2- علاقة الأنثروبولوجيا بالأدب

إن للأدب وزنه و قيمته بين الفنون؛ و آداته هي اللغة التي يعبر من خلالها عن مختلف التصورات و الأحاسيس، فهو نقطة تجاذب و تقاطع المنهجيات و العلوم كعلم الاجتماع و

<sup>1</sup> إبراهيم أنيس، عبد الحليم منتصر، عطية الصوالحي، محمد خلف الله أحمد، المعجم الوسيط، معجم اللغة العربية، مكتبة الشروق الدولية، ط4، ص9-10.

<sup>2</sup> عز الدين إسماعيل، الأدب و فنونه، دار الفكر العربي، القاهرة، 2013، ص1.

<sup>3</sup> لأبي عرفات محمد بن بنية علي ضيف الله، الأدب الأدب، مكتبة العلوم و الحكم، ط1، 2015، ص2.

الفلسفة و الأنثروبولوجيا و ذلك لاستخدامه عدة مناهج كالوصفو البنيوي و السيميائي ...  
فالباحث الأنثروبولوجي في مجال الأدب يهتم بكشف السياقات الثقافية و الاجتماعية و  
الدينية للمجتمع.

## أ – البعد الأنثروبولوجي للنص الأدبي

تتداخل العديد من السياقات في إنتاج الأدب حيث إن عملية إنتاج الأدب،  
"تكون في غاية التعقيد حيث يتداخل فيها عدة سياقات لأنه يملك طريقة خاصة به  
بقول العالم و كذا رؤية متميزة فإن الأدب يوجد بشكل مختلف لا كوثيقة كلعبة  
للأشكال مما يدعو إلى محاولة تعريفه و كذا تحديده بشكل ملائم"<sup>1</sup> بناء على هذا  
التصور، إن العلاقة بين الأدب و الأنثروبولوجيا تكاملية فكان من السهل على دارسي  
الأنثروبولوجيا أن ينتقلوا بين الأجناس و الأنواع الأدبية، و من الأنثروبولوجيا إلى  
الفلكلور، و هذا ما يحقق تداخل الأجناس.

و منه جاء في كتاب "عباد أبلال" الموسوم بـ "أنثروبولوجيا الأدب" قائلا: "إن الخاصية  
النصية للعمل الأدبي تشكل بالبداية ملمحا آخر من ملامح الطبيعة الأنثروبولوجية  
فالنص عمل وظيفيا على استدامة و تكريس تثبيت المعارف و تصورات و رؤى العالم  
من أجل ذاكرة الناس، كذلك رموز و أساطير جماعات الانتماء الثقافي"<sup>2</sup> و منه فإن  
علاقة الأنثروبولوجيا بالنص الأدبي نكمن في محاولة الإحاطة بجميع الأجناس الأدبية.

## ب – علاقة الأنثروبولوجيا بالأجناس الأدبية

إن الأدب في طبيعته مرويات و محكميات تختص بها رقعة محددة لها تخومها  
السوسيوثقافية و الدينية و تعد اللغة هي همزة الوصل بين الأدب و فروع من

<sup>1</sup> سهام بودروعة، محاضرات في التحليل الأنثروبولوجي للأدب، كلية الآداب، جامعة 8 ماي 1945 قالمة، الموسم الدراسي  
2018-2019م.

<sup>2</sup> عباد أبلال، أنثروبولوجيا الأدب، روافد للنشر و التوزيع، القاهرة، ط2، 2015م، ص107.

الأنثروبولوجيا، و ينقسم الأدب على هذا الأساس إلى شقين: شفوي يعنى بنقل المرويات التي لها علاقة بالوعي الجماعي أو الذاكرة الشعبية كالأغاني الشعبية و القصة، و شق مكتوب ينقل السير و الروايات . . . .

### ✓ الرواية

إن الرواية هي سرد للأحداث و القصص و الوقائع التي يتحكم فيها تصور الروائي و تكون لها خلفيات اجتماعية و ثقافية وهي تحمل في ثناياها الكثير من الشخصيات تختلف اتجاهاتها الإيديولوجية وصفاتها، تعبر عن القضايا السياسية و الاجتماعية التي يواجهها الإنسان في حياته اليومية.

و نجد "أن الرواية من الكلمة المكتوبة الموجهة لجمهور قادر على القراءة و الكتابة تصور تجربة إنسانية معيشة بعيدا عن الأجواء و أحداثها شبيهة بأحداثنا اليومية الحقيقية"<sup>1</sup> فما الرواية إذن إلا رصد للوقائع المعيشة بصورة فنية جمالية.

و هنا نستكشف أن الرواية في أبسط مفاهيمها ما هي إلا تعبير عن مظاهر الحياة اليومية أي الوقائع التي يجربها الإنسان و ما يعاينه سواء من الناحية الاجتماعية و الاقتصادية و غيرها.

كذلك "تقوم الرواية حسب بيرسيل لوبوك صاحب كتاب صيغة الرواية على مبدئين:

**الأول:** أن الرواية صورة الحياة.

**الثاني:** أن الرواية صورة أو لوحة فنية أكثر من مجرد شبه، إذن الرواية حسب لوبوك صورة أي تشكيل لكنها صورة مشابها لا مطابقة للحياة"<sup>2</sup> وعليه يتبين لنا أن

<sup>1</sup>نظال محمد فتحي الشمالي، قراءة النص الأدبي، مدخل و منطلقات، دار وائل للنشر و التوزيع، الأردن، ط1، 2019، ص75.

<sup>2</sup>نفس المرجع، ص75.

الرواية هي صورة مشابهة للحياة، تعالج قضايا المجتمع كالدين و الطبقة الاجتماعية و العادات والتقاليد وغيرها ... .

إن علاقة الأنثروبولوجيا بالرواية هي علاقة متميزة لأن الرواية هي عبارة عن سرد الأحداث و محاولة نقل جانب من تجربة إنسانية تحاول أن تعالج قضاياهم، و الأنثروبولوجيا هي علم دراسة الإنسان فنقطة التماس الأنثروبولوجيا و الرواية تكمن في الإنسان بمختلف قضاياها وكل ما يخصه.

و من خلال هذا يتبين لنا أن "السجل الأثنوغرافي الذي يضم أحداث الدراسة الأنثروبولوجية و تفاصيلها كثيرا يكتب بأسلوب قصصي تفصيلي، و يكاد يؤلف رواية (بالنسبة للقارئ)، غير أن كانت أحداثها من فرقة حسب ما تقضي به المقاولات، و الموضوعات المشاركة، و لكنه قص أو حكي واقعي لمقابلات حدثت بالفعل مع أشخاص حقيقيين"<sup>1</sup>.

و من هنا يظهر أن الروائي حين يكتب نصه فإنه يكتب بأسلوب حقيقي خالي من الخيال ليقرب الصورة للقارئ و يدخله في عالم الرواية، و أن أحداث الرواية تقترب من الحقيقة كما نجد أن "الدراسة الإثنوغرافية حين تأخذ شكل الحكى أو السرد القصصي تحرص على اقناع القارئ بواقعتها و لأن الأحداث و الأشخاص الذين تعرض لهم موجودون، و قائمون بالفعل في الحياة اليومية حتى و إن كانت الأسماء المستخدمة في الدراسة أسماء مستعارة"<sup>2</sup>.

نستنتج أن علاقة الأنثروبولوجيا بالرواية علاقة متكاملة حين أن هناك مساحة كبيرة مشتركة بين الباحث الأنثروبولوجي و الروائي (الإبداع الأدبي)، لأن كليهما يستمد مادته من الإنسان (المجتمع) و لأن الرواية هي تصوير للواقع المعيشي باستخدام شخصيات تحمل أسماء مستعارة.

<sup>1</sup>عبد الرحمان يتيم، دفاتر الأنثروبولوجيا، سير و حوارات، دار فارس للنشر و التوزيع، عمان، ط2، 2004، ص243.

<sup>2</sup>المرجع نفسه، ص244.



## سادسا: علاقة الأنثروبولوجيا بالعلوم الأخرى

على الرغم من أن الأنثروبولوجيا علم مستقل بذاته يختص بدراسة الإنسان إلا أنها تتداخل مع الكثير من العلوم الأخرى، و ما زال العلماء إلى اليوم يختلفون في تصنيف هذا العلم. ذلك أنه ذو صلة مع الكثير من العلوم، كعلم النفس، علم الاجتماع، و علم الفلسفة ... .  
فما هي علاقة الأنثروبولوجيا بهذه العلوم؟.

### 1- علاقة الأنثروبولوجيا بعلم النفس

يعتبر علم النفس أحد فروع العلم الاجتماعي، و يعرف بأنه "العلم الذي يدرس السلوك الظاهر دراسة نظامية و يحاول تغيير علاقته العمليات غير المرئية التي تحدث داخل العضوية سواء العقلية منها أو الجسدية من جهة و علاقته بالحوادث الخارجية في البيئة من جهة أخرى"<sup>1</sup> من هنا يمكننا القول أن علم النفس يختص بدراسة الإنسان ظاهريا و باطنيا، كما يبحث في سلوكه و دوافع الفرد و كذا انفعالاته و تفكيره و ميوله ...، أي أنه يدرس الشخصية الإنسانية بصفة عامة فمثلا نجد أن علم النفس يبين أن الحرمان "Frustration" يتسبب عنه الكبت "Depression" والذي يؤدي إلى عقد نفسية و أمراض عصبية و عقلية، و هنا يكمن الاختلاف بين علم النفس و علم الأنثروبولوجيا "علم النفس يدرس سلوك الإنسان الفرد أما الأنثروبولوجيا فتركز على السلوك الإنساني بشكل عام، منا تدرس السلوك

<sup>1</sup> يوسف قطامي، عبد الرحمان عدس، علم النفس العام، دار الفكر، عمان، الأردن، ط1، 2002م، ص16.

الاجتماعي النابع من تراث الجماعة<sup>1</sup> و ذلك يعني أن الأنثروبولوجيا تختص بدراسة الجماعة و كل فرد في الجماعة أما علم النفس فيركز على الفرد.

و لكن مع ذلك هناك علاقة بين علم النفس و علم الأنثروبولوجيا في أن كلا الميدانين يهتم بمشكلات السلوك، فالعلاقة قريبة و وثيقة، و ذلك من خلال دراسة النواحي النفسية من خلال تغير الحضارة من منطقة إلى لأخرى، فإذا كان علم النفس يهتم بدراسة الشخصية فإن الأنثروبولوجيا الثقافية تركز على العلاقة بين الثقافة و الشخصية في دراستها، و قد أخذ هذا العلم في التزايد إثر اهتمام الأنثروبولوجيين بدراسة عمليات التغير بين المجتمعات البدائية و المجتمعات النامية.

كما يركز علم النفس الاجتماعي على المحاكاة و التقليد و الميول الاجتماعية كالتعاون و غريزة التجمع، إضافة إلى دراسة الاتجاهات، و قد صدرت دراسة خاصة بالأنثروبولوجيا السيكولوجية التي تعنى بالظواهر السيكولوجية لبني البشر حيث يعيشون في طبقة أو جماعة فإن "الطبيعة الإنسانية من صميم علم النفس العام، كما أنها عامل حتمي في تكوين النظم الاجتماعية الإنسانية"<sup>2</sup> و لذلك ترى أن مهمة الباحث الأنثروبولوجي لا تختلف عن مهمة عالم النفس الاجتماعي فكلاهما يختص بدراسة صفات الشيء الذي هو موضوع دراسته من تعبير خارجي في السلوك، كما تشبه مهمة الأنثروبولوجي مهمة عالم النفس في كشف خفايا الأمور، و يمكن القول "أن العلاقة بين الأنثروبولوجيا و علم النفس لا تنمو إلا بعد أن اهتم الأنثروبولوجيون بموضوع العلاقة بين الفرد و الثقافة"<sup>3</sup> فالأنثروبولوجيون كانوا يميلون إلى الفرد و الجماعة و يتعدون عن الثقافة في بداية الأمر.

<sup>1</sup> إبراهيم ناصر، الأنثروبولوجيا الثقافية، (علم الإنسان الثقافي)، دار الفكر، عمان، الأردن، (د.ط)، 1985م، ص21.

<sup>2</sup> حسن عبد الحميد، أحمد رشوان، الأنثروبولوجيا في المجال النظري، الإسكندرية، مصر، ط1، 1988م، ص86.

<sup>3</sup> محمد الجوهري، الأنثروبولوجيا، أسس نظرية و تطبيقات علمية، دار المعرفة الجامعية، الإسكندرية، (د.ط)، 1997م، ص52

## 2- علاقة الأنثروبولوجيا و علم الاجتماع

يعد علم الاجتماع من أحدث العلوم الأساسية و أهم العلوم الإنسانية، و يعرف بأنه "العلم يحاول الوصول إلى فهم تفسيري للفعل الاجتماعي، من أجل التوصل إلى تفسير علمي لجراره و لنتائجه"<sup>1</sup> و بناء على هذا القول فهو ذلك العلم الذي يختص بدراسة سلوك الإنسان و تفسيره بغية الوصول إلى نتيجة، فعلم الاجتماع يدرس العلاقة بين الفرد و العمليات التفاعل فيما بينهم و تصرفاتهم كأعضاء مكونين لهذه الجماعة، فهو يركز على سلوك الأفراد ضمن هذا المجتمع أو ذاك و يرى "سوروكن" أن "علم الاجتماع دراسة الخصائص المشتركة بين كل أنواع الظواهر الاجتماعية"<sup>2</sup> فهو يدرس الخصائص العامة المشتركة بين الظواهر الاجتماعية و قد دعى سوروكن إلى القول بأن علم الاجتماع "العلم الذي يدرس الثقافة الاجتماعية"<sup>3</sup> أي أنه العالم الثقافي الاجتماعي.

و يمكن القول أن الأنثروبولوجيا و علم الاجتماع كلاهما يدرس البناء الاجتماعي و الوظائف الاجتماعية، و هذا ما دعي "راد كليف براون" إلى القول بأن الأنثروبولوجيا الاجتماعية هي فرع من فروع علم الاجتماع المقارن، فهو يدرس الظواهر الاجتماعية في كل المجتمعات القديمة و المعاصرة و المتأخرة.

و عليه نجد صلة وثيقة بين الأنثروبولوجيا و علم الاجتماع بالنظر إلى أن كل منهما يدرس الإنسان و يتجاوز الترابط بينهما المعلومات التي يهدف كل منهما في الحصول عليها، و يمكن حصر الاختلافات الواقعة بينهما في ما يلي:

تختلف الأنثروبولوجيا الاجتماعية عن علم الاجتماع في مؤلفات الأنثروبولوجيا كما يقول "روبرت فيليد" "لا تشتمل على قضايا عامة وافية قابلة للتطبيق على كل حالة ضمن فئات محددة تحديدا دقيقا، أما علم الاجتماع فإنه يستهدف الحصول على قوانين و نظريات عامة

<sup>1</sup> أليكس أنكر، مقدمة في علم الاجتماع، تر: محمد الجوهري و آخرون، دار المعارف، القاهرة، ط6، 1983م، ص40.

<sup>2</sup> حسين عبد الحميد أحمد رشوان، الأنثروبولوجيا في المجالين النظري و التطبيقي، الإسكندرية، مصر، ط2، 2009م، ص81.

<sup>3</sup> المرجع نفسه، ص82.

تخضع لها الوقائع الاجتماعية<sup>1</sup> بمعنى أن ليس كل ما تقدمه الأنثروبولوجيا الاجتماعية قابل للتطبيق على كل الفئات على غرار علم الاجتماع الذي تخضع قوانينه لوقائع اجتماعية كما تختلف الأنثروبولوجيا عن علم الاجتماع في كونها تركز على العادات و التقاليد و النظم و الأنماط السلوكية المختلفة، بينما علم الاجتماع يركز على دراسة المشكلات الاجتماعية في المجتمع الواحد، كما يدرس الطبقات الاجتماعية في هذا المجتمع و يركز على دراسة المجتمعات البدائية أو المنقرضة بينما الأنثروبولوجيا تدرس المجتمعات البدائية و أيضا المجتمعات المعاصرة المتحضرة، أي أنهما يختلفان في المنهج الدراسي و في ذلك يقول "أيفاتر بريشارد" عن منهج علم الاجتماع ما يلي: "ينبغي أن تعبر الأناصة المجتمعية بمثابة جزء من الدراسات الاجتماعية، إنها فرع ينصب دراسته بشكل خاص للمجتمعات البدائية"<sup>2</sup>.

و هذا الاختلاف بينهما أدى الاختلاف في المواضيع المدروسة بين كل من الأنثروبولوجيا و علم الاجتماع.

بالرغم من كل هذه الاختلافات إلا أن علماء الأنثروبولوجيا و علماء علم الاجتماع يستفيدون من ملاحظات بعضهم في صياغة نظرياتهم فكل منهما خادم للآخر.

<sup>1</sup>حسن عبد الحميد و أحمد رشوان، الأنثروبولوجيا في المجال النظري، المرجع نفسه، ص84.

<sup>2</sup>محمد الخطيب، الأنثروبولوجيا الاجتماعية، دار علاء الدين، دمشق، سوريا، ط1، 2005م، ص25.

# الفصل التطبيقي

أنثروبولوجيا المضاامين الاجتماعية  
و الثقافية في رواية "العجر يحبون أيضا"

1- العنصرية

2- النظم الاجتماعية

3- العادات و التقاليد

4- اللباس

5- أدوات الزينة

6- الفنون

## تمهيد:

## العجر يحبون أيضا:

لماذا هذا العنوان اللآفت للانتباه؟

لماذا استعمل الرّوائي كلمة أيضا المثيرة للجدل والاستفزازية نوعا ما؟

هل هذه الكلمة جاءت لإثبات العنصريّة الممارسة ضد العجر وتأييدها من طرف الرّوائي؟ أم هي لرفع الظلم الاجتماعي الذي طالما مورس ولا يزال يمارس ضدّ العجر؟

لطالما كان مصطلح العجر مرادفا للتشردّ، الانحراف، وحتى الرّذيلة في كثير من الأحيان، فهم تلك الفئة المهمّشة التي عانت من الظلم، النظرة الفوقية من طرف المجتمعات، الدول، وحتى الأدباء والمفكرين.

سلط واسيني الأعرج في رواياته الضّوء على هذه الفئة بطريقة مختلفة فهو جاء لنصرتها لا لاضطهادها، فقد عمدت رواية واسيني لهدم الكثير من المسلّمات التي رسخت في ذاكرة الشّعوب، وفي وجدان الكثير اتجاه العجر.

استحضر من خلال هذه الرّواية تاريخ العجر المهمّش، الذي تناساه الجميع بما فيهم العجر كما صوّر لنا الفئة المهمّشة التي تواجه تحدّيات الواقع، فئة لا خيار لها إلاّ مواجهة قدرها فقد عمد الرّوائي من خلال الرّواية إلى قتل الصّورة النمطية، التي ارتبطت بكثير من المغالطات، وسعى إلى بعث من جديد روح العجري المحبّ للحياة، الحبّ، والحريّة خاصّة، سعى الرّوائي لإعلاء مكانة العجري الذي يصارع من أجل البقاء، فلا مهرب له من قدرة إلاّ المواجهة، مثله مثل المتادور الذي لا مهرب له فيحلبة المصارعة سوى مواجهه الثور والقضاء عليه.

وقد كان "مجتمع العجر خيارا فنيا حذقا راهن الرّوائي عليه نظرا لما يتمتع به من بعد إثنيوأنثروبولوجي يتيح التعرف على خصوصيته الاجتماعية والثقافية المكونة لهويّة متميّزة جامعة للعديد من الهويّات والثّقافات الأخرى"<sup>1</sup> فهو مجتمع عابر للثقافات بامتياز يظهر هذا من خلال

<sup>1</sup>نادية موات، تجليات الأنثروبولوجيا الثقافية في رواية "العجر يحبون أيضا" لـ "واسيني الأعرج"، مجلة دراسات وأبحاث، مجلد 14، عدد 2، أفريل 2022، ص 257.

لغتهم، موسيقاهم، وحتى دياناتهم، فهم غالبا يتبنون الدين السائد في المجتمع الذي يقيمون فيه وهو مجتمع له خصوصيته التي تميزه عن باقي المجتمعات والشعوب.

## 1- العنصرية:

لقد عانى الكثير من الناس من ظاهرة التّحيز العنصري بحكم انتمائهم لفئة أو جماعة معينة، فالعنصرية في مفهومها العام هي "مجموعة من المعتقدات والأفكار التي ترفع من قيمة فئة معينة على حساب الفئات الأخرى بناء على الاعتقاد الموروث بأن هناك فروق مجتمعية مرتبطة بعادات الناس أو طبائعهم أو قدراتهم متصل أحيانا إلى التّمييز بناء على لون البشرة أو الثقافة أو اللغة أو انتماء الفئة التي تتم ممارسة العنصرية لجنس أو عرق معين".<sup>1</sup>

ويعتبر العجر من أكثر الشعوب التي عانت وما زالت تعاني من التّمييز العنصري، حيث "يشكو العجر من التّمييز العنصري ضدّهم فالجميع يعاملونهم بطريقة مختلفة ولا تراعى أثناء التّعامل معهم أي قيمة انسانية أو اتفاقية دولية لحقوق الإنسان أو حتى المساواة بين الناس في الأديان السماوية".<sup>2</sup>

وقد سلّط الرّوائى واسيني الأعرج الضّوء على فئة طالما همّشت حتى من طرف التّاريخ الذي غيّبها، حيناستنطق واسيني التّاريخ الذي لفظ حقبة شعب عيهم الوحيد هويتهم العجرية، "تطلق مفردة عجر على مجموعات بشرية تنتشر في بقاع متفرّقة من الكرة الأرضية، وتتصف بصفات متقاربة أو متشابهة إلى حد بعيد. ولعلّ التّسمية الشائعة التي تطلق عليهم هي "Gypsy" الإنجليزية والتي ظهرت للمرة الأولى في اللغة الإنجليزية عام 1537 ويعود أصلها إلى مفردة "Egypt" أي (مصر)".<sup>3</sup>

وقد "اختلفت تسميات العجر من زمن إلى زمن، ومن بلد إلى آخر، غير أنّها ارتبطت بالتّصورات السائدة لدى العامة عنهم، وتتمحور حول معنى موحد يتبلور بأنهم: اللّصوص السحرة

<sup>1</sup> أميرة بدرالوجود، تعريف العنصرية لغة واصطلاحا، نشر في 23 أكتوبر 2019، <http://www.mosoah.com>

<sup>2</sup> جمال حيدر، العجر ذاكرة الأسفار وسيرة العذاب، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، المغرب، ط1، 2008، ص 108.

<sup>3</sup> جمال حيدر، العجر ذاكرة الأسفار وسيرة العذاب، مرجع سابق، ص 18.



المتسولون والكفرة"<sup>1</sup>، و قد ارتبطت صفة السرقة بالعجر، وقد تجلّت العنصرية والصفات الدونية للعجر في الرواية في عدة مواضع، فعندما تعرضت السيدة الفرنسية للسرقة وجهت أصابع الاتهام مباشرة لأبجينا لا لشيء سوى لأنها عجيبة حيث يقول السارد: "في عمق المارشني المكتظ بالغازي و الرائح ارتفع صوت السيدة مخترقا هدوء الناس ونعومه حركة السوق.

\_\_ Au secours... au secours... سرقني العجر. المتوحشون سرقوا حقيقتي اليدوية وكل نقودي.... يبدو لا رجال في المدينة إلا المسوخ.... عجر وأجسادكم رخيصة"<sup>2</sup>. فمن خلال هذا الموقف استطاع واسيني أن يضيء الظلم الذي لحق بالعجر، فقد استحضرت التاريخ لتقديم قضية إنسانية راسخة في ذاكرة العجر تستحضرها أبجينا عند تعرضها لأول موقف مستفز تقول أبجينا: "فتشيني يا وسخة. لا تختلف رائحتك عن رائحة النازيين. ألم نكن آريين من أصول هندية؟ ومع ذلك ذبحونا. فعلوا ما فعلينه الآن معي. اعتبرونا جنسا منحطا لأننا اختلطنا كثيرا مع غيرنا من الأقوام. آريون فاسدون. لهذا كان مصيرنا في النهاية المحتشدات الجهنمية. وحولونا إلى فتران تجربة لغازات الموت التي أبادتنا بشكل كلي طبعاً لا تعرفين هذا، لأن كتبك المدرسية لا تتحدث عن هذه الإبادة الجماعية. بل لم تزعج محاكمات نورومبرغ نفسها بإدراج إبادة العجر في حديثنا. لم يلتفتوا نحونا. لم نكن موجودين مطلقاً."<sup>3</sup>، فقد استطاع واسيني بطريقة فنية أن يستعيد حياة عجر وهران وما تعرضوا له من تنكيل النازي في الحرب العالمية الثانية، كما أن "معاناة العجر كانت كبيرة إلى درجة أنها حفرت عميقاً في تاريخ البشرية، ولكن من دون أن يُسلط الضوء عليها ليعرف الجميع المعنى الحقيقي لتلك المعاناة، والتي ما زالت متواصلة بإلغائها أو تجاهلها. بالمقابل صنع العجر عبر العقود اللاحقة قدراً من النسيان يعود أساساً إلى غريزة النسيان أو تناسي الماضي التي تغلف حياتهم"<sup>4</sup>.

فما لحق العجر من اضطهاد، تهميش، و ظلم لا يمكن أن يقارن بمظاهر العنف في مصارعة الثيران اضطهاداً استمر ويمتد حتى لقي استحساناً وتأييداً من طرف العديد من العنصريين، وقد بينه

<sup>1</sup> جمال حيدر، العجر ذاكرة الأسفار وسيرة العذاب، مرجع سابق، ص 21.

<sup>2</sup> واسيني الأعرج، العجر يجبون أيضاً، بغداد للطباعة والنشر، الجزائر، 2019، ط 2، ص 113.

<sup>3</sup> الرواية، ص 117.

<sup>4</sup> جمال حيدر، العجر ذاكرة الأسفار وسيرة العذاب، ص 10.

الكاتب على لسان تلك السيدة الفرنسية حين قالت: "تعيشون وسط وحوش من السراقين العجور لم يخطئ هتلر عندما قادم نحو الأفران مع اليهود لو عاصرته كنت أخبرته بأن يأتي إلى وهران هي أيضا بها يهود وعجور ويمحو هذا المكان من الخارطة"<sup>1</sup>.

رغم ذلك التناسي والقوة التي يتظاهر بها العجور، إلا أن الإحساس بالظلم والاضطهاد لا يفارقهم فأبجلينا رغم قوتها وتمردتها إلا أنها في لحظات ضعفها سرعان ما تعود بها ذاكرتها نحو تلك القسوة، فها هي تحدث خوسي قائلة: "أنت لا تشعر بهذا الظلم وهذه القسوة تخيل نفسك للحظة تأتي يد عسكرية وتشحنك في شاحنة ثقيلة في باخرة لنقل الحيوانات إلى فرنسا وعندما تفتح عينيك تجد نفسك في محتشد .... ومن هناك إلى محتشدات الموت والمخابر النازية التجريبية على أجسادنا لم يكن مهما أن تكون فرنسيا فأنت في النهاية محسوب على العجور ولهذا وجب أن تباد لأنك تشوه الجنس الراقي"<sup>2</sup>.

ولكن كما أن لمصارعة الثيران التي كان حضورها في الرواية بمثابة محاكاة لمجتمع العجور، مؤيدين ومعارضين فكذلك للعجور، رغم وجود العنصريين إلا أن هناك من يتعاطف معهم ويرفض العنصرية الممارسة ضدهم، فها هي ذي السيدة مادري تقول عن أبجلينا: "أتعاطف معها يقال أن جدها قد قتل في محتشد بولز نفالده مع حوالي نصف مليون عجوري وأبيد الكثير منهم بغاز زيكلون الذي استعمل لاحقا في غرف الغاز مساكين أبناء الريح انا أحبها"<sup>3</sup>.

## 2- العلاقات الاجتماعية:

كل المجتمعات وعلى اختلافها وتنوعها تخضع لما يسمى النظم الاجتماعية، التي من شأنها أن تضبط سلوك الناس وأخلاقهم، لأن نظام الجماعة الذي يتحقق فيه مبدأ التواصل والتفاعل بين الناس، يفرض هذه الضوابط والقوانين لتسهيل التعايش، ولرسم الحدود التي لا يمكن تجاوزها. ولتنفيذ هذه القوانين لابد من وجود سلطة قادرة على التوجيه والتأثير، حيث يخضع العجور في مجتمعاتهم

<sup>1</sup> الرواية، ص 135.

<sup>2</sup> الرواية، ص 63.

<sup>3</sup> الرواية، ص 102.

العجيرية إلى المرجعية العشائرية، "فالعجيري محكوم بمجموعة من التقاليد والقيم هو الطقوس تحددتها العشيرة.... وتجتمع العشيرة عادة في المناسبات الخاصة كحضور صفقة لشراء العروس أو الزواج أو الأعياد.... وفي حالات الوفاة أو فضّ المنازعات"<sup>1</sup>.

وقد تناول الروائي هذه النقطة وأشار إليها على لسان أنجلينا حين عرّفت بوالدها "والذي أكثر من ذلك هو باتشيفالو الكبير يصلح بين الناس حتى خارج القانون والقضاء. حتى اللواتي يخن أزواجهن، هو من يصلح بينهم هههه.العجر يجلون مشاكلهم داخليا وليسوا في حاجة إلى قانون. العائلة هي كل شيء، حتى جرائم الدم هو من يسمع له الجميع فيها. كلمته لا تنزل إلى الأرض لكنه يرضي الجميع"<sup>2</sup>.

فيتضح من خلال ما سبق العديد من الأمور عن مجتمع العجر، فهو مجتمع لا يؤمن إلا بالقانون الداخلي لقبيلته، وأيضا أنه مجتمع منغلِق على نفسه خاصة إن تعلق الأمر بالحفاظ على وحدتهم الاجتماعية والثقافية، فإنّ تمسكهم بقانونهم الخاص حال دون انصهارهم في المجتمعات الأخرى إلى حد كبير فقانون العجر يمكن اعتباره مجموعة من التقاليد المتوارثة التي يسعى العجر للحفاظ عليها. فتمسك العجر بقوانينهم الداخلية هو تمسك بالهوية التي يخشى العجر عليها من الضياع، والتلاشي، بين ثقافات الشعوب التي يخالطونها، لهذا نلمس الصرامة في التعامل مع قيمهم وقوانينهم.

بالإضافة إلى أهمية العشيرة يعتبر النسق القرابي، من الركائز التي يقوم عليها البناء الاجتماعي لأي مجتمع، وهو جانب مهم لا يمكن تجاهله في الدراسات البدائية "societiestribal" وشبه الريفية وحتى في المجتمعات الحضرية في الدول النامية.

<sup>1</sup>جمال حيدر، العجر ذاكرة الأسفار وسيرة العذاب، ص 38.

<sup>2</sup>الرواية، ص 154.

"ويرتكز النسق القرابي على علاقة الدم وعلاقات المصاهرة وهما المحوران الرئيسان لنظام العائلة ونظام الزواج.<sup>1</sup>"

ولا شك أنّ النظام القرابي العجري له خصوصيته التي تميزه حيث أن " الأسرة هي الآصرة الاجتماعية الأهم في قيم العجر"<sup>2</sup> وتخضع الأسرة العجرية إلى السلطة الأبوية، خاصة إذا تعلق الأمر بعرف الزواج، كما حدث مع أنجلينا التي خضعت كلياً لأمر والدها وقبلت الزواج من غارسيا امثالاً لأوامر والدها وإقتداءً بعرف العجر ويتضح هذا من خلال الحوار الذي دار بينها وبين خوسي "لا أدري كيف تتحملين رجلاً لا تحبينه؟ هذا جحيم.

في الحقيقة استجبت لطلب والدي لأنه كان يعمل معه وكان مقرباً منه"<sup>3</sup>

إنّ علاقة أنجلينا بوالدها تتعدى علاقة الخضوع والطاعة، إلى الشعور بالانتماء فهو كل شيء بالنسبة لها، فعندما سجن والدها أحست بكثير من الاحباط والحزن تقول أنجلينا وهي تستنجد بخوسي: "حبيبي أخذوا أبي بتهمة تهريب الأسلحة أخذوا بابا هل تسمعي؟ حائطي الذي أستند عليه خوفي وعزلي وآلامي"<sup>4</sup> فوالدها العزاء الوحيد لها في عالمها الذي يتأرجح بين العنصرية وقيود الأعراف فحبها لوالدها كان سبب خلافها مع حبيبها خوسي وكذلك ابتعادها عنه "لا تحتقر والدي لأني وقتها أفقد أعصابي و أتحوّل إلى ذئبة كريهة.... مسني في عيني لكن والدي لا أنت لا تعرف شيئاً عنه كان رجلاً عظيماً."<sup>5</sup>

وفي قولها أيضاً: " ... لا بد أن أخفف عن والدي.... أحبك!

<sup>1</sup>حميد الهاشمي، تكيف العجر، دراسة أنثروبولوجية اجتماعية لجماعات الكاولية في العراق، (د.ط)، مكتبة الفكر الجديد، د.ت ، ص74.

<sup>2</sup>جمال حيدر، العجر ذاكرة الأسفار وسيرة العذاب، ص 38.

<sup>3</sup>الرواية، ص 92.

<sup>4</sup>الرواية، ص 205

<sup>5</sup>الرواية، ص 2016

الله غالب لا أستطيع شيئاً لكن طريقنا المشترك يتوقف هنا"<sup>1</sup>

فقد تخلّت أنجلينا عن خرسى، وهو الحب المنشود بالنسبة لها، لأنها تؤمن أنّ والدها على حقواً جزء منه، فوالدها هو هويتها التي لا يمكن أن تتنصل منها.

بالإضافة إلى علاقة الآباء بالأبناء، يعتبر الزواج أيضاً رابطاً أسرياً قوياً تتشكل على أساسه خصوصية مجتمع العجر، فعلاقة الزواج عند العجر مقدسة لأبعد الحدود، حيث أنّ الطلاق ظاهرة نادرة الحدوث، وتراعى العلاقات الزوجية بصورة صارمة، وليس هناك ما يفسد العلاقة بين الزوجين سوى الخيانة، ولهذا عرف العجر بنجدّ قوانين صارمة تضبط وتقيّد سلوك الأزواج، فقد يلجأ العجر لأسلوب الردع، سواء من شيخ القبيلة، أو من الأب، أو حتى من الزوج، مثل ما حدث مع أنجلينا حينما اشتكاها غارسيا زوجها إلى والدها تقول أنجلينا: "بغلي لم يتركني واشتكاني لوالدي الطيب تخيل قال له ابتك لا تريد أن تنام معي ووالدي عززني بعنف، عدت له، وحاولت أن أتقرب منه... 2"

فمن خلال تصرف والد أنجلينا، نلمس أولاً نفوذ السلطة الأبوية، ثم صرامة العجر، وتعاملهم مع العلاقة الزوجية بحزم شديد، فهم يسعون لحماية هذه المملكة، حتى لو استعملوا أسلوب التهيب مثل ما فعل والد أنجلينا، وكذلك التعنيف، فقد تعرضت أنجلينا للضرب المبرح من طرف غارسيا، فقط لأنها تريد الانفصال عنه وتنتهي حياتها الزوجية معه "غارسيا سأقتله... ضربني على وجهي بعنف كبير كأنه كان يريد قتلي انتابته حالة غيرة أعجبتني في البداية في ثقافتنا العجرية المرأة التي يغار عليها زوجها يعني أنها مرغوبة"<sup>3</sup>. ورغم التهديد والضرب، إلا أنه لا مجال للاستمرارية في العلاقة الزوجية بعدم وجود الحب، فجميع الأعراف والتقاليد تسقط أمام الحب، لا توجد سلطة على الحب عند العجر، "فالعجر قوم تغلي مشاعرهم بالعاطفة إلا أنّ تلك العاطفة تؤطّرها قواعد محددة سلفاً وغالباً

<sup>1</sup> الرواية، ص 220.

<sup>2</sup> الرواية، ص 194.

<sup>3</sup> الرواية، ص 90

ما تنصف بالحدة فالحب تقليد في غاية الأهمية في حياة العجر والفتاة التي وهبت نفسها بدافع الحب يكون الحكم عليها وفقا لقانون الجماعة مخففا إلى حد كبير"<sup>1</sup>.

فرغم قداسة الشرف واعتباره من المحضورات إلا أنه يتساوى الزوج والحبيب في عرف العجر تقول أنجلينا: "الن يلمسني رجل غير زوجي أو من أحب. نحن العجر نحب لكن لا نسلم أنفسنا بسهولة لأول عابر، أحرار نحن يا قطة المجاري والمزابل. لكننا نقبل الموت على الشرف"<sup>2</sup>. فقد تخلت أنجلينا عن زوجها غارسيا، وتمردت على الأعراف، لأنها وقعت في حب خوسي اورانو، دون أن تولي أهمية لمشاعر الغيرة والحقد، اللذان يتملكان غارسيا الزوج العنيف المتطرف، فهو لا يمانع أن تخونه زوجته لكنه يرفض أن تتركه وقد اعترف لخوسي عندما رقص مع أنجلينا. "تعرف كم أحبك يا خوسي لأنك رشيق وابن مدينتي؟ لا بأس أن تخونني هذه معك... لكن لا أقبل أن تتركني وتذهب معك، في هذه الحالة وهذه الحالة وحدها، يمكنني أن أقتلك وأقتلها بلا تردد هذا ليس كلاما طائشا ولكنه حقيقة"<sup>3</sup>.

وحقيقة غارسيا المتطرف نقتد توقعاته، وانتقم من أنجلينا فقط لأنها تركته، فقد كان سببا في انتحار والدها عندما وشى به إلى الشرطة. وباتهامه لخوسي بأنه خطف زوجته وهي حامل، وبقتل أنجلينا في آخر المطاف، إذ أن غارسيا جاء في الرواية ليمثل الجانب المظلم من حياة العجر، أما أنجلينا فهي الجانب المشرق الذي لا يحلم بشيء سوى السلام، الحرية، فأنجلينا ترى "الحب ليس مشروعا ولكنه حياة تعاش"<sup>4</sup>.

لهذا عندما وجدت الحب تخلت عن كل شيء وراحت تحب، حتى أن والدها المتقيد بمبادئ العجر، الرجل الحكيم الصّارم، لم يمانع في أن تقيم ابنته علاقة خارج إطار الزواج، وهو نفسه الذي أجبرها على الزواج وفق تقاليد العجر، تقول أنجلينا لوالدها: "هل تعلم يا بابا؟ هذا الرجل المجنون العجري هو من جعلني أحبه وأحب قليلا الكوريدا التي كنت أكرهها.... أخذت يد خوسي بعفوية.

<sup>1</sup> جمال حيدر، العجر ذاكرة الأسفار وسيرة العذاب، ص 43.

<sup>2</sup> الرواية، ص 115

<sup>3</sup> الرواية، ص 68.

<sup>4</sup> الرواية، ص 11.

- العجر يجون أيضا يا بابا.

- وإذا أحبوا يموتونحبا.

- يجون عشقا عجر اليوم يريدون أن يعيشوا يا بابا بدل أن يموتوا، يكرهون الموت الرّخيص دون أن يفقدوا عجريتهم"<sup>1</sup>. بالحب حياة بالنسبة للعجر، وهو غاية أيضا وبمحضوره تسقط كل الاعراف وكل محضور يصبح مسموحا، ويقول السارد أيضا "ضحك الثلاثة طويلا نظر خوسي إلى عين أنجلينا نظرت إليه بنفس الجنون عندما لمح إيميليانوزباطا تلك النظارات المخطوفة عرف أنه زائد على المشهد"<sup>2</sup>. وانسحبإيميليانو لأنه يريد أن تعيش ابنته الحب، بعيدا عن قيود المجتمع والأعراف، كيف لا والعجر هم رمز الحب والحرية،وقد استطاع الروائي من خلالهاالرواية أن يبرز أنّ القيمتين الإنسانيّتين الأهم عند العجر هما الحب والحرية.

### 3- العادات والتقاليد:

العادات هي مجموعة من الطقوس، التي تكرر فعلها حتى أصبحت أمرا مألوفا، وتنقل من جيل إلى جيل لتصبح جزءا مهما من عقيدتهم.

أما المعتقدات، فهي ما اتفقت عليه الجماعات، من أنماط سلوكية وهي ما دلّ على الماضي والقديم، وهي بدورها أمر متوارث عبر الأجيال، وعموما كلاهما جزءاً من التراث الثقافي الذي يحافظ عليه المجتمع، حيث أنّ لكل شعب من شعوب العالم تقاليده وعاداته تميزه عن باقي الشعوب وكثيرا ما تكون هذه العادات وليدة حكايات شعبية أو أساطير يتناقلها الأحفاد عن الأجداد متمسكون بها خوفا من ضياعها في متاهات التقدم والحضارة"<sup>3</sup>، فهذه العادات والتقاليد تتراكم عبر مئات السنين، وعبر تعاقب مختلف الأجيال، لهذا فهي بمثابة قوانين، لا يحق لأي فرد مخالفتها، مادام يعيش داخل ذلك المجتمع، والعادات والتقاليد تختلف من مجتمع إلآخر بل تتميز حتى في البلد الواحد ومن السمات الأساسية للعادات والتقاليد أنّها: "فعل اجتماعي، فليست هناك عادة اجتماعية خاصة بفرد

<sup>1</sup>الرواية، ص 155.

<sup>2</sup>الرواية، ص 159.

<sup>3</sup> أديب أبي ظاهر، عادات الشعوب وتقاليدها، دار الشواف للنشر، 1993، ط1، ص 3.

معين، وأما العادة تظهر إلى الوجود حيث يرتبط الفرد بالأخرين، ويأتي أفعالا تتطلبها الجماعة أو تحفزه عليها.

- متوارثه أو مرتكزة إلى تراث يدعمها ويغذيها....
- قوة تتطلب الطاعة الصارمة والإمتثال الجماعي الدائم.
- مرتبطة بمواعيد أو مناسبات زمنية معينة، وهذا الارتباط بزمان أو مكان محدد هو الدليل على القيمة الوظيفية العالية التي تتمتع بها العادات في المجتمع....<sup>1</sup>

فاتسام العادات والتقاليد بمجموع هذه الخصائص، جعلها تحظى باهتمام الكثير من قبل الروائيين والأنثروبولوجيين على حد سواء، فنجد الروائي، واسيني الاعرج وظفها في الرواية، على اعتبار أنها تراثا شعبيا جماعيا ثريا يتشعب بثقافة العجر، وسلوكياتهم، معتقداتهم، لهذا جاءت الرواية مثقلة بالعديد من العادات والتقاليد والاعراف التي تحكم العجر وتسطر حياتهم، وتنقسم أعراف العجر إلى قسمين:

أعراف خاصه بهم، يسعى العجري بكل ما يملك من حس عجري للحفاظ عليها لأنها تحفظ هويته، وأعراف يشتركون فيها مع غيرهم من الشعوب التي مروا بها، و أقاموا عندهم، وهذه الأعراف تعكس تأثر العجر بثقافات الشعوب الأخرى.

ومن أهم المضامين الأنثروبولوجية التي تناولتها الرواية وتعكس عادات وتقاليد العجر:

### 1.3- عادات الزواج:

لا شك أن طقوس الزواج تختلف من مجتمع إلى آخر، ومن زمن إلى آخر فطقوس الزواج تختلف حتى بين جماعات العجر أنفسهم ويعتبر "الزواج التقليدي هو الأكثر شيوعا بين جماعات العجر ويتم من خلال طقوس متوارثه تبدأ بمدح أهل العروس لمزايا ابنتهم في محاوله

<sup>1</sup> كريمة نوادريه وسعاد زدام، التراث الشعبي المفهوم والأقسام، مجلة ميلاف للبحوث والدراسات، العدد 5، المركز الجامعي عبد الحفيظ بو الصوف، ميلة، الجزائر، جوان، 2017، ص 866.



لرفع مهرها وحين يتم الاتفاق يعلن الأمر على القبيلة بأسرها<sup>1</sup> فالمقصود هنا بالزواج التقليدي أن اختيار الزوج أو الزوجة يكون تحت إشراف الوالدين، ولا يمنح للزوجين في كثير من الأحيان حرية الاختيار تقول أنجلينا: "في الحقيقة استجبت لطلب والدي لأنه كان يعمل معه وكان مقربا منه أنا نفسي لا أدري كيف قبلت به."<sup>2</sup> فقول أنجلينا هذا، تأكيد على أنّ قرار الزواج، واختيار الزوج، يخضع لسلطة الوالدين. ويعتبر طقس كشف العذرية من أهم الطقوس التي تمارس على الفتاة العجرية قبل زواجها، وهو من الأعراف التي ترفضها أنجلينا بشدة، لكنها خضعت له بل كانت منذ صغرها تجهز نفسها لمثل هذا اليوم، من خلال الحفاظ على عذريتها، لا لشيء فقط حتى لا تحرج والدتها أثناء الخضوع لفحص كشف العذرية، تقول أنجلينا: "أخضعتني عائلته لكل طقوس العذرية التي كنت أكرهها عند العجر، لم أكن أريد أن أحزن أُمي وأحولها إلى مسخرة"<sup>3</sup>. فالشرف أثنى شيء يملكه العجر، ويعتبر من المحظورات، لهذا تسعى العجرية للحفاظ عليه، ففقدان العذرية يعني جلب الدّل والعار للعائلة، لهذا فهي مجبرة على إثبات عذريتها، ولا مهرب لها من ذلك، وفي هذا السياق تقول أنجلينا: "قمت بكلّ الحماقات إلّا عذرتي حافظت عليها لأني كنت أعرف أنه سيأتي يوم وأكون مجبرة على الدّفاع عنها في أعماقي كنت خائفة من فقدانها لأني في مرة من المرات فتحت رجلي أكثر من اللازم وأنا أرقص لدرجة أني شعرت بألم وتمزق"<sup>4</sup>. وفعلا خضعت أنجلينا لفحص العذرية، على يد نساء القبيلة المتخصصات في ذلك، فلا مهرب للعجيرة من هذا الفحص، وقد نجحت أنجلينا في هذا الاختبار، وعمّت الفرحة كلا العائلتين، ورد ذلك في قولها: "لا نصير لي عندما أوضع بين يدي نساءنا اللواتي يختبرن عذرتي، إلّا تحمل البهدلة، سيبدو لك الأمر غريبا، وعندما أثبتت عذرتي التي كنت خائفة من أن تكون قد ضاعت، ونجحت في امتحان الفحص. ومنحت المنديل لأم غارسيا التي فرحت به جدّا لأنّها تأكّدت من أنّ كنتها عذراء."<sup>5</sup> الأكثر من هذا فإن هوس

<sup>1</sup> جمال حيدر، العجر ذاكرة الأسفار وسيرة العذاب، ص 45.

<sup>2</sup> الرواية، ص 92.

<sup>3</sup> الرواية، ص 93.

<sup>4</sup> الرواية، ص 93.

<sup>5</sup> الرواية، ص 93.

فقدان العذرية عند العجر، يدفعهم لتزويج بناتهن في سن مبكر، تقول أنجلينا: "زوجوني شابة خوفا من أن أسقط بين ذراعي غادجو ملعون يلعب بعقلي وهم كثر يعيشون بيننا بعاداتنا وتقاليدنا"<sup>1</sup>. فالرّوائي أراد أن يبين من خلال طقوس العذرية أنّ للعجر أخلاق، ومبادئ، وقيم، وكذلك تحفظات، وليس كما هو شائع عندهم أنهم قبائل بلا أخلاق، وقد استحضر واسيني هذه الظاهرة ليبين التشابه بين العجر والمجتمعات المحافظة، خاصة المجتمعات العربيّة.

### 2.3- التداوي بالأعشاب

يعدّ التداوي بالأعشاب من المعارف الشعبيّة السائدة بين أفراد المجتمع العجري فهو وليد تجربة، وحاجة، جعلتهم يستعينون به كطب بديل لهم، لمواجهة المرض خارج نطاق الطب الحديث.

وقد أخذ موضوع التداوي بالأعشاب مكانة في الرواية، ضمن عناصر المعتقدات الشعبيّة السائدة في الرواية، فالمعروف على العجر كثرة ترحالهم، الأمر الذي ساعدهم على الإحتكاك بالطبيعة ومعرفة أسرارها، والاستفادة منها، ومن نباتاتها، أو أعشابها لمقاومة المرض والبقاء على قيد الحياة.

ولعل الحنظل\* من أهم الأعشاب التي وردت في الرواية يقول السارد: «وضعت يده اليميني في ماء الحنظل الذي كانت تأتي بها من جبل سانتا كروز في الجهة المطلّة على البحر من أجل علاج مرضى السّكري أو الدّود الذي يؤذي الصّغار كان الوحيد الذي كانت تقبل به مرافقا لها، حتى القمة، ومن هناك يواصل الدّوران نحو الجبل حيث حقل واسع من الحنظل وكانت وحدها تعرفه». فالملاحظ أنّ الجدة لها خبره طبيه كسبتها من خلال التّجربة.

وقد لجأت أنجلينا هي و غارسيا للطبيعة من أجل معالجة مشكل الانجاب، وتقول أنجلينا للقاضي: "وقد حاولنا لدى مختصين أنا وهو... وأكد لنا استحالة المعالجة فصرنا نجرب الأدوية

<sup>1</sup> الرواية، ص 94.

\*الحنظل أو العلقم يضرب به المثل في شدّة مرارته، و هو نبات يسهل بشدّة عند الإكثار منه، و كان عند العرب يأكلون ثماره و يسمونه الهبيد.

الشعبية التي يتقنها العجر<sup>1</sup> فعلى الرغم من تأكيد المختصين عدم قدرتهما على الانجاب إلا أنهما استعاننا بالطب البديل والتداوي بالأعشاب الطبية، فالعجر يؤمنون بالطبيعة، والتداوي بالأعشاب تراث عجري يعكس حياة العجر التي تقوم على التأقلم مع نمط حياتهم القائم على التنقل، والاحتكاك الطبيعة .

### 3.3- قابلات العجر

إلى جانب التداوي بالأعشاب، يظهر الطب البديل من خلال قابلات القبيلة، وهنّ نساء متخصصات في التوليد و الكشف عن العذريّة، وكذلك هنّ القدرة على معرفه نوع الجنين، من خلال الخبرة التي اكتسبها من آبائهم، ومن تجاربهم السابقة، فقد استطاعت القابلة تحديد جنس جنين أنجلينا فقط من خلال تتبع طريق دورانه، ويظهر هذا من خلال الحوار الذي دار بين خوسي والقاضي يقول السارد: "خفف القاضي من الجو الصّارم للجلسة قال ضاحكا:

\_\_ كيف عرفت أنّها بنت؟

\_\_ لأنّ حبيبي انجي قالت ذلك هههه

\_\_ أريكني كثيرا لأن أمرا مثل هذا لم أتوقّعه.

\_\_ تقول إنّه عند العجر نساء متخصصات في تحديد جنس الجنين، من خلال حركته في بطن

أمه ههههه<sup>2</sup>. وقد صدقّ تنبؤ العجرية ربما بمحض الصدفة أو بسبب التجربة لكن

أنجلينا أنجبت طفلة فعلا.

### 4- اللباس:

<sup>1</sup>الرواية، ص 306.

<sup>2</sup>الرواية، ص 309.

إنّ اللباس في معناه العام أو المتعارف عليه، هو ما يوارى الجسد ويستتر به الإنسان ما يجب ستره لقوله تعالى: " يٰبَنِي آدَمَ قَدْ أَنْزَلْنَا عَلَيْكُمْ لِبَاسًا يُؤَرِّسُوكُمْ وَرِيشًا ۗ وَلِبَاسُ التَّقْوَىٰ ذَٰلِكَ خَيْرٌ ۗ ذَٰلِكَ مِنْ ءَايَاتِ اللَّهِ لَعَلَّهُمْ يَذَّكَّرُونَ" الأعراف الآية: 26 واللباس هو وسيلة للتزين والتجمل، وهو من الضروريات التي لا يمكن الاستغناء عنها.

والأكيد أنّ مفهوم اللباس لا يتوقف عند هذا الحدّ، بل يتجاوزه إلى معنى أعمق، ودلالات أبعد إنّ الملابس بمثابة بطاقة تعريف للشخص فكثيرا ما نحكم على الأشخاص من خلال لباسهم، فله دور كبير في رسم معالم شخصيّة الإنسان، لأوّل وهلة، أيضا من اللباس يمكن الكشف عن المجتمع الذي ينتمي إليه الشخص وحتى تنشئته الاجتماعية التي لها تأثير مباشر على طريقة اللباس ونوعيته فكلّ مجتمع له خصوصيته، التي يعكسها اللباس، لهذا تحرص المجتمعات على الحفاظ على هذه الخصوصيات فهي بمثابة إرث وتراث بل هويّة، وجب حمايتها من المؤثرات الخارجية وكذلك يكشف اللباس عن الديانة التي يعتنقها الشخص، والثقافة التي يتمتع بها، وعن الأفكار التي يتبناها، وأيضا يمكن أن تكون الملابس انعكاسا لنفسية الإنسان.

لهذا كان لدراسة الملابس أهمية كبيرة، فهي تلقي الضوء على الحياة الاجتماعية والاقتصادية للشعوب، وتعد من أهم المؤشّرات على حضارات الأمم، ومن أهم أركانها.

فاللباس مرآة عاكسة لثقافة الشعوب، وهو عنصر أساسي من عناصر الحضارة الإنسانيّة، فهو يجسد حضارة المجتمعات، ويسطر الاختلافات الثقافية المتباينة من مجتمع لآخر.

"ويعد اللباس عنصرا أنثروبولوجيا بامتياز لأنه علامة دالة على الحمولة الثقافية التي تميز مجتمعا ما عن مجتمع آخر. وفردا عن فرد آخر ونظرا لأهميته كان حصيا للدراسات الأنثروبولوجية".<sup>1</sup>

إنّ اللباس في الرواية جاء ليجسد هويّة ليروي تاريخا منسيا، مهمشا، حديث أنّ توظيف اللباس في الرواية جاء مكتنفا يحمل دلالات رمزية.

<sup>1</sup>نادية موات، تجليات الأنثروبولوجيا الثقافية في رواية "العجر يجون أيضا"، مجلة دراسات وأبحاث، مرجع سابق، ص 258.

"وقد أدرك "واسيني الاعرج" ما يمثله اللباس من قيمة ثقافية وحضارية في المتخيل السردى باعتباره تيمة ثقافية واجتماعيه فاعلة تحقق بعدا فنيا وتأثيريا وعلامة سيميائية تفتح شهوة التأويل".<sup>1</sup>

لهذا برز اللباس في الرواية كمظهر من مظاهر الثقافة عند العجر، فمن خلال اللباس يمكن أن نفهم طبيعة هذه الشعوب، حياتهم، ذكرتهم، كما يبرز أيضا تمسكهم بثقافتهم التي يسعى الجميع لمحوها، بالرغم من شخصية أنجلينا المتمردة على بعض أعراف العجر إلا أن تمسكها بتاريخ العجر وماضيهم يظهر بقوة في العديد من المواضع وما اللباس إلا انعكاس لذلك، حيث أن "الزبي الشعبي العجري تاريخ غني يرجع أولا وقبل كل شيء إلى طريقة حياتهم البدوية مما سمح للعجر باستعارة جزئيات من ثقافات شعبية مختلفة أكسبته صفة التنوع والغنى".<sup>2</sup>

فعادة ما يكون لباس العجريات طويلا حيث، "تحفي المرأة العجرية سيقانها..... لكنّها لا تعتبر الأثداء من الأعضاء الجنسية وفقا لمبادئ العجر"<sup>3</sup>، وفضفاضا ويظهر هذا من خلال قول ماري مادلين لأنجلينا أريد أن أفتش ألبستك الفضفاضة،" ويفسر بعض العلماء الأنثروبولوجيين تحلي النساء العجريات عن الساري الزي الهندي التقليدي كونه غير ملائم مع نساء رحل يقطعن مسافات طويلة سيرا على الأقدام، لا شك أنّ اللباس الفضفاض سيكون مريحا أكثر لأنه يتناسب مع كثرة تنقلهم وكثرة حركتهم"<sup>4</sup>، فبالإضافة إلى كثرة الترحال فإن اللباس الفضفاض يعطي مرونة وخفة أثناء الرقص والغناء.

كما أنّ لباس العجريات تميّز بالإغراء إبراز المفاتن والقوام المشقوق الذي تتمتع به العجريات و يظهر هذا على لسان أنجلينا "أنت تعرف يا متادوري الحبيب أنّه بهذه الأناقة لن يوقفي أحد قلت لهم أي أخت المتادور خوسي أورانوا فابتسموا في وجهي جئت من العاصمة وأريد أن أفاجئه بعضهم ثبت

<sup>1</sup>المرجع نفسه، ص 259.

<sup>2</sup>نهاد محمد صادق، التراث الزخرفي للعجر حول العالم بين الماضي والحاضر، مجلة العمارة والفنون والعلوم الإنسانية، عدد خاص (02)، أبريل 2021، ص 2377.

<sup>3</sup>جمال حيدر، ذاكرة الأسفار و سيرة العذاب، مرجع سابق، ص 61.

<sup>4</sup>جمال حيدر، ذاكرة الأسفار و سيرة العذاب، مرجع سابق، ص 60، 61.

عينيه في نهدى النافرتين كقربي ثور"،<sup>1</sup> فهذا القول يؤكد أن فستان أنجلينا كان مفتوحا عند الصدر، وأيضا يستعين بالتطريز والخياطة، لإبراز المفاتن أكثر جاء في النص الروائي "التفت نحوها أنجلينا أموندي، كانت ترتدي لباسا أحمر مطرّزا عند الصدر، ومورّدا في الجانب الأيسر"<sup>2</sup>. فالعجريات عادة ما تكن فخورات بجسدهنّ كفخرهنّ بهويتهمّ، كما يعتمد العجر كثيرا على الثياب المزركشة ذات الألوان المبهجة، فالألوان عند العجر هي رمز للبهجة و الأمل وسيلة لبثّ روح التفاؤل في النفوس.

وقد أولى الروائي أهمية قصوى للألوان، "فلا يخفى على أحد، الدور الذي يمثله اللون في حياة الانسان فالألوان من أهم الظواهر الطبيعية التي تسترعي انتباه الإنسان، ونتيجة لذلك اكتسبت مع الأيام، وفي مختلف الحضارات، دلالات ثقافية، وفنية، ودينية، ونفسية، واجتماعية ورمزية واسطورية"<sup>3</sup>. فواسيني استغل الألوان للتعبير عن هوية العجر فقد كانت ألوان فساتين أنجلينا محصورة بين الأحمر، الأسود والأبيض "نزعت المرأة رداها الأبيض وبأن لباسها الأحمر والأسود ووردتها البيضاء على جنبات شعرها"<sup>4</sup>. وكذلك "تفتح فلقتي لباسها الأسود فيظهر الدّاخل الأحمر للباس و كأنّه موليتا في يد متادور امرأة"<sup>5</sup>. بالإضافة إلقوله "فجأة رآها بلباسها الأبيض كأنها عروس قتل حبيبها في يوم عرسها"<sup>6</sup>. فلا شك أنّ اعتماد هذه الألوان، لم يكن من فراغ وإنما لما تحمله من دلالات حيث يعتبر الأحمر عامة، "الرمز الأساس لمبدأ الحياة بقوته وقدرته ولمعانه هو لون الدّم والنّار يملك دائما نفس التّعارض الوجداني لعنصر الدّم والنّار أمّا الأسود فهو مضاد لكل الالوان يرتبط الأسود بالظلام الجوهري اللّامع المتميز والأبيض رمز الصّفاء والعفّة والنّظافة والطّهارة والوضوح"<sup>7</sup>. وكلّها رموز اجتمعت وكونت شخصية أنجلينا المتمسّكة بتاريخها الثائر المتمرّدة على أعراف قبيلتها العجرية، ألوان تعكس معاناة

<sup>1</sup> الرواية، ص 48.

<sup>2</sup> الرواية، ص 47.

<sup>3</sup> كلود عبيد، الألوان (دورها، تصنيفها، مصادرها، رمزيتها، ودلالاتها، مجد المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع-بيروت،

ط1، 2013م، ص 09

<sup>4</sup> الرواية، ص 272.

<sup>5</sup> الرواية، ص 31

<sup>6</sup> الرواية، ص 338.

<sup>7</sup> كلود عبيد، الألوان، ص 61-73، بتصرف.

شعب عاش الظلم، الاضطهاد و التهميش و الموت لكن أنجلينا استطاعت أن تتخطى كل هذا الأسى بالحب، الذي انتشلها من الظلام إلى النور، هو نور الحب والعشق التابع من القلب، أنجلينا وخوسي، لهذا اختارت أن يتجسد هذا من خلال قول أنجلينا "حتى لباس إزميرالدا الأول سيكون مزيجاً من الأبيض والبنفسجي"<sup>1</sup>. فالأبيض كما عاقبنا سابقاً هو لون الصفاء والعفة أما البنفسجي يعتبر هذا اللون رمز للوضوح تريد لابنتها أن تعيش حياة كلّها حب و صفاء لا وجود للظلم والاضطهاد فيها.

## 5- أدوات الزينة (الأكسسوارات)

مما لا شك فيها أن الكثير منّا يلجأ بعد اختيار الملابس المناسبة، إلى أدوات الزينة، قصد الحصول على المظهر المناسب و أدوات الزينة أو الأكسسوارات، "كلمة تطلق على كل ما يقوم باجتذاب الأنظار إلى مكان معين تتوقف العين أمامه دون سواه كالحلي و أغطية الرأس و الأشرطة و الأحذية و التطريز و الحقائب و القفازات و الأحزمة"<sup>2</sup> بالإضافة إلى الأصباغ و العطور، التي تعد ضرورية لاستكمال الزينة، و قد ذكرت الزينة في القرآن الكريم في عدة مواضع منها قوله تعالى " إن الله يدخل الذين آمنوا و عملوا الصالحات جنات تجري من تحتها الأنهار يحملون فيها من أساور من ذهب و لؤلؤ و لباسهم فيها حرير" سورة الحج 23.

و أدوات الزينة ليست وسيلة لإبراز الجمال فقط، بل هي أداة للتعبير عن شخصية الإنسان، و معتقداته لهذا تعد دراسة أدوات الزينة، و الأكسسوارات مصدراً وثائقياً هاماً، يعكس العديد من مظاهر الحياة، و قد وظّف واسيني الزينة في الرواية، ليرز لنا خصوصية مجتمع العجر، فالجميع يتفق على أن العجر يميلون إلى الزينة بشكل مبالغ فيه، يجلب الأنظار، حيث "احتفظوا ببعض ملابسهم و

<sup>1</sup> الرواية، ص 314

<sup>2</sup> صباح بنت الهبكلي، دراسة تاريخية لمكلمات الأزياء عبر عصور التاريخ المختلفة، المجلة العلمية لكلية التربية النوعية، ع 3، يناير 2015، نقلاً عن عابدين عليه، دراسة في سيكولوجية الملابس، دار الفكر، ط1، القاهرة.

زينتهم لغاية نزولهم إلى أوروبا بعدما ارتدوا الملابس المشابهة للقرويين مع إضافة بعض الالوان الصارخة و الأقمشة المطرزة و الأكسسوارات المتوهجة مع تعاويذهم و رؤيتهم الخاصة للجمال".<sup>1</sup>

## 1.5- الحلبي:

توظيف الحلبي جاء ليعكس هوية العجر، ثقافتهم، و تاريخهم، بالإضافة إلى خصوصيتهم التي جعلت منهم شعبا غير بقية الشعوب يقول السارد: "ثم تحسس الخواتم الخشنة الكثيرة على أصابعها.

هل تأكدت أم أضيف لك شيئا آخر لتعرف..."<sup>2</sup>

فعبارة أنجلينا، "هل تأكدت" دليل على أن كثرة الحلبي في أصابع اليد، هو علامة تخص العجر، و كثرة ارتداء الحلبي عند العجر رمز للفرح، و السعادة فعادة ما تحتفي أدوات الزينة عند النساء بصفه عامة- في المناسبات الحزينة الموت مثلا، فالعجر يسعون إلى بث الفرح و الامل أينما حلّواو بكل الطرق.

و تظهر الحلبي في موضع آخر "ومعصمها الناعم الذي تطوقه أسورة أمها المصنوعة من لؤلؤ الهند كوراي جيحل كما تقول"<sup>3</sup> فارتداء أسورة الأم ما هو إلا رمز ودليل على التمسك بالماضي، والتراث العجري، الذي يمثل هويتهم كذلك تحمل هذه العبارة دلالة أخرى، حيث أن الأحجار المصنوعة منها الأسورة دليل على كثرة ترحالهم وتنقلهم في مختلف ربوع العالم والأكثر من ذلك، فهي الدليل على أنّ هذه الشعوب عابرة للثقافات.

## 2.5- مستحضرات التجميل والعطور:

تحرص العجريات كثيرا علأن تظهرن بكامل أناقتهنّ، وجمالهن، لأنّ المظهر الجميل، يعد جزءا من عملهنّ المتمثل في الاستعراض، الغناء والرقص و يبرز اهتمام العجرية بجمال

<sup>1</sup> جمال حيدر، ذاكرة الأسفار و سيرة العذاب، مرجع سابق، ص 60.

<sup>2</sup> الرواية، ص 153.

<sup>3</sup> الرواية، ص 195.



وجبهها ورائحتها، من خلال حقيبة أنجلينا فهي تحتوي على: "... أحمر الشفاه وعلبة مكياج والكحل وعلبة قطن تستعمل للجراح العادية... والدواء الأحمر الميكروكروم وقطعة صابون لوكس...<sup>1</sup> فالمرأة العجربة جميله بطبعها، وتستعين بمواد التجميل لإبراز هذا الجمال العجري المختلف، كما تفرّد العجربة عادة شعرها لتزداد جمالا وأنوثة، يظهر هذا من خلال قول الناص "نزعت مساك كانت تشد به شعرها الذي تبثر على ظهرها ووجهها عندما خرجت من الحمام فاجأته بجسدها المستقيم كشعاع".<sup>2</sup>

ولا تكتمل زينه العجربة إلا بعطرها، حيث تعتبر العطور من المستحضرات التي تزيد من الأناقة، والجمال، والجاذبية فالعطر عالم ساحر وأخاذ في كل تفاصيله.

و يحضر العطر في الرواية باعتباره أكبر سجلات الذكريات والعواطف، فتأثيره كبير على الأحاسيس فهو يجذب الأنظار ويأسر العقول كما أسر عطر أنجلينا مشاعر المتادور "خوسي أورانو" يقول الناص:

".... نزلت يد على وجهه وأغمضت عينيه تنفس طويلا شم رائحة يعرفها.

\_ مميم هذه الرائحة أعرفها"<sup>3</sup>

وكذلك في قوله: "ضمّها بقوة أكثر احترقه عطرها السّاحر الذي تشتغله بيدها ووحدها تعرف سر تركيبته"<sup>4</sup>.

فأنجلينا بلمسة عطرها الناعمة أسرت مشاعر خوسي واستشارتها، و يبرز بشكل واضح تعلّقه وإدمانه على هذه الرائحة ، كيفلا وهي رائحة حبيته.

بالإضافة إلى هذا فان العطر في الرواية، يعكس شخصية أنجلينا المرأة العجربة بصفة عامة يقول السّارد: "فتح غرفته وجد ألبسة داخلية نسائية حمراء وعطرا عربيا قويا"<sup>1</sup> فالعطر العربي يدل

<sup>1</sup> الرواية ص 118.

<sup>2</sup> الرواية، ص 196.

<sup>3</sup> الرواية ص 153.

<sup>4</sup> الرواية ص 271.

على شخصية أنجلينا لأن المتعارف عليه أن العطور العربية عادة ما تكون فيها الكثير من السحر والغموض، كأنجلينا السّاحرة و الغامضة في الوقت ذاته.

كما أن حضور العطر العربي يشير إلى تأثير العجر بثقافة غيرهم ونهلهم منها بما يتماشى مع ثقافتهم، أما استعمال العطر القويّ فهذا لكثرة حركة أنجلينا، فهي تجوب الشوارع، ترقص، تغني وتبتّ الفرحة أينما حلّت لهذا فالعطر القوي مناسب لها حتى يدوم لساعات أكثر.

### 3.5- الوشم

وهو عبارة عن أشكال، ورسومات، توضع على الجلد باستخدام الإبرة داخل الجروح حتى يبقى الوشم ولا يزول، "ويبلور الوشم إلى جانب الأكسسوارات سمة جمالية أخرى إضافة إلى كونه تعويذة سحرية ضدّ اللعنات وطرد الجنّ والحدّ من الحسد وحماية الجسد من الأمراض وكذلك استخدم الوشم لأغراض طبية"<sup>2</sup>. فمن خلال هذا القول يظهر أن الوشم استخدم عند العجر لأغراض عديدة، فهو يدخل في مجالات مختلفة لكن سمته الجمالية هي الأبرز لدى العجر خاصّة حينما يشمل الخدين والحنك والجبين والكفّ واليدين والكتف والبطن"<sup>3</sup>. لهذا تعشق العجريات الوشم، ويستعملنه بديلاً للحليّ، وقد تمّ توظيفه في الرواية من خلال شخصية أنجلينا، يقول السّارد: "رأى يدها تمتد بوشمها المشجر ومعصمها الناعم". فوشم أنجلينا هنا ليس للزينة فقط، بل له دلالات كثيرة، فهو عبارة عن لوحة تكشف عن العديد من الأمور، فالوشم المشجر هو رمز الخضرة، الحياة، والخصوبة، هو علامة الاستبشار، والتفاؤل، هو رمز للطبيعة والحريّة التي يعشقها العجر، والوشم لصيق بالجسد وجزء منه لا يمكن الخلاص منه مثل ماضي العجر الأليم الذي لا يمكن محوه مهما حاول العجر تناسيه.

ويظهر الوشم في موضع آخر من جسم أنجلينا يقول الروائي وهو يصف وشم أنجلينا: "عندما رسم دائرة أخرى على سرتها، التي يحيطها وشم يشبه الشمس محجوزة في دائرة"<sup>4</sup>. الوشم هنا

<sup>1</sup> الرواية ص 193.

<sup>2</sup> جمال حيدر، ذاكرة الأسفار و سيرة العذاب، مرجع سابق، ص 61.

<sup>3</sup> المرجع نفسه، ص 61.

<sup>4</sup> الرواية، ص 201.

دلالاته إغرائية تثير إعجاب الآخر، ولا بدّ أن تكون الشَّمس هي أنجلينا وأحلامها، والدائرة هي قيود الأعراف التي طالما رفضتها أنجلينا وتمردت عليها في كثير من الأحيان.

يقابل السّمة الجمالية للوشم عند النّساء، سمة الوشم التي توحى بالرجولة والقوّة عند الرجال، بالإضافة إلى الخشونة والسّيّطرة، أشار اليه الروائي في مشهد يستدعي غيره الرّجل على زوجته أو حبيبته، يقول النّاص: "نظر غارسيا إلى وجه خوسي بحدّة لم يعرف هذا الأخير إذا ما كان ذلك جزءا من العرض أم كان حقيقيا سببه الغيرة التي أودت بحياة الكثير من الغجر لاحظ فجأة الوشم الذي ختم ذراعه الايسر"<sup>1</sup> فالوشم هنا يوحي بالإجرام، وسلطة الرّجل الظّالم، الذي يتفاخر بقوّته ويستعملها حتى ضدّ المرأة.

الوشم عموما جاء في الرّواية كرمز لمجتمع الغجر، ويمثّل شريحتين متناقضتين، الأولى تجسّدت في أنجلينا التي تطوق إلى الحُبّ والحريّة والثّانية نقلها غارسيا المتطرّف وهذه إشارة على أنّ ليس كل الغجر يستحقون تلك النظرة الدّونية.

ومنالأكسسوارات الحاضرة عند الغجريات كذلك، والتي يختلف حضورها عن باقي الأكسسوارات، الخنجر، والذي لم يستعمل لإبراز المفاتن ولا الجمال إنّما هو وسيله للدّفاع عن النّفس عند الغجريات، في حال تعرّضهنّ للمضايقة من طرف غيرهم، مثلما فعلت أنجلينا عندما ضايقته تلك السيّدة الفرنسيّة ماري مادلين، دافعت أنجلينا عن نفسها بشراسة قائلة: "لا دخل للشّرطة هنا يا أنا أو أنت فتّشيني وإلا سأذبحك الآن وأمام جميع البشر تراجعك لم يعد ممكنا"<sup>2</sup>.

و"عندما همّت بإخراج سكينها من جواربها قفز ميغيل سانتوس عازف البانجو نحوها ومدّ يده اليها"<sup>3</sup> فالغجريات مفروض عليهنّ التّحلي بالقوّة، لحماية أنفسهنّ لكثرة ترحالهنّ أوّلا، ولكثرة تعرّضهنّ للاضطهاد والعنصريّة ثانيا.

<sup>1</sup> الرواية، ص 35.

<sup>2</sup> الرواية، ص 116.

<sup>3</sup> الرواية، ص 116.

فتوظيف الروائي للزينة بشكل عام في الرواية جاء ليعكس ثقافه العجر التي تنهل من ثقافات الآخرين، كذلك التعريف بهوية العجر التي طالما سعى العجر للحفاظ عليها.

## 6- الفنون:

### 1.6- موسيقى:

تعدّ الفنون لغة يعبرها الإنسان عن أحاسيسه ويترجم بها مشاعره، وتعتبر الموسيقى "إحدى لغات الفنون وأسمائها حيث يستطيع العالم بها أن يفتح عما يسوء المرء من حماس وحنين وخيال وشجاعة وتأثير فهي إذن لغة النفس والعقل والقلب معا لأنها تلح القلوب مباشرة وتملك العقول وتسيطر على العواطف"<sup>1</sup>. إنّ الموسيقى لغة عالميّة، يفهمها الجميع رغم اختلافهم، فهي لغة التواصل بين الشعوب، لما لها من قدرة فائقة على التعبير عن الانفعالات والاحاسيس التي يشترك فيها البشر، وأهميّة الموسيقى لا تتوقف عند هذا الحد بل تتجاوزها إلى "أثما مرآة تتجلى فيها مدنّيات الشعوب وحضارتها و جاء التاريخ ليحلي عن تلك الحقيقة فيكشف لنا عن صور عقليّات الشعوب المختلفة وتباين طرق تفكيرها في الموسيقى باختلاف العصور"<sup>2</sup>. لهذا تعتبر الموسيقى من أهم النظم الأنثروبولوجيّة التي تكشف عن هويّة الأمم والشعوب، ولقد لعبت الموسيقى في الرواية دورا هاما، ساهم بشكل كبير في رسم معالم الهوية العجربة، ثقافتهم وحياتهم، حيث أنّ الموسيقى تحتل مكانها في حياة العجر الذين لا يتمسكون بشيء إلاّ بألثم الموسيقية، "فالآلة الموسيقية بالنسبة للعجري بمثابة قلبه لا تفارقه ولا يستغني عنها ويرى فيها مساحة بوح لكل عذاب واجهة أو فرح حظي به وهو لا يتمسك بالناس الذين يخالطهم من مختلف الاجناس والأنواع والصفّات وسرعان ما ينسأهم وينغلق داخل مجتمعه العجريّ فقط يتمسك بآلته التي قد تكون آلة نفخ هوائية"<sup>3</sup>.

<sup>1</sup> حنا بطرس، نظريات الموسيقى، ج1، (مبادئ الموسيقى)، تاملوكية، بغداد، 1945، ص 4.

<sup>2</sup> داليا حسين، الموسيقى وأهميتها في حياة الفرد والمجتمع، مجلة الموسيقى العربية، مجلة الدول العربية، أيار 2015/02 تم الإطلاع عليه حزيران 2022.

<sup>3</sup> محمد جميل خضر، موسيقى العجر، ألوان دروب وتباريح وتر، 8 يناير 2008، 21 ماي 2022 عن موقع:

فالموسيقى هي جزء من الحياة اليومية للعجر، تجري في عروقهم، "فلا يمكن تصور عجري دون آلة موسيقية فالموسيقى بالنسبة للعجري هي بمثابة الصرخة المدوية على امتداد الدهور، التي لامسوا خلالها أقصى أنواع العذابات...<sup>1</sup> و قد اهتم الرّوائى بهذا الملمح الأنثروبولوجي وخصّص له مساحة معتبرة في الرّواية ليوضّح من خلاله أنّ الموسيقى عند العجر هي الهويّة البديلة عن هويتهم الضائعة، حيث تحفل موسيقاهم بطاقة تعبيرية دون مدى، وتنصهر في نغماتها أقصى حالات الألم والعشق، فالموسيقى العجرية لم تكن يوما وسيلة للفرح فقط، بل تتجاوز ذلك في كثير من الأحيان لتعبّر عن انفعالاتهم، واحاسيسهم، فقد استعانت أنجلينا بطلّة الرّواية بالبانبجو للتعبير عن غضبها، يقول السارد: "نظرت أنجلينا إلى عازف الجيتارة طلبت منه أن يعزف بالبانبجو نغما أندلسيا دارت في مكانها ضحك الناس الذين كانوا يتحلقون حولها".<sup>2</sup> وكذلك في قوله: "عندما تعالت الضحكات عاليا مصحوبة بنقرات البانبجو التي عادت إلنا إيقاعها المعتاد التفتت أنجلينا إلى العازف:

— "حبيبي ميغيل سانتوس عزفك رحو قليلا.

— سيقوى في لحظة الدّروة سأشدّ على الخيطان».<sup>3</sup>

فحضور البانبجو في الرّواية وهي آلة موسيقية وترية يتكوّن جسمه من طبلة من جلد حيواني أو بلاستيك رقيق مشدود حول إطار دائريّ أشبه بالدّف، وآلة الجيتار التي تعدّ هي كذلك آلة وترية مدقوقة تعزف باستعمال أصابع اليد، وكذلك حضور آلة الكاستانيات (السّوج) وهي آلة إيقاعية تستخدم كثيرا في الموسيقى الإسبانيّة، في قول السارد: "كانت المرأة ترقص على إيقاع عازف الجيتار والبانبجو ونغمات الكستانيات على رؤوس أصابعها كانت تحدث إيقاع شهيا"<sup>1</sup> ، وحضور الأنغام الأندلسية، يحيلنا إلى أنّ العجر يملكون إرثا ، حملوه من الثقافات والحضارات التي هاجروا منها أو مروا بها، فالعجر بمخالطتهم للمجتمعات يتأثرون بها ويؤثرون فيها وفي كثير من الأحيان ينصهرون في ثقافات غيرهم كما انصهروا في ثقافه الأندلس، وأصبحت الموسيقى

<sup>1</sup> جمال حيدر، ذاكرة الأسفار و سيرة العذاب، مرجع سابق، ص 173.

<sup>2</sup> الرواية، ص 115.

<sup>3</sup> الرواية، ص 116.

الأندلسية جزءاً لا يتجزأ من هويتهم، وحضور الفلامينكو في الرواية ما هو إلا دليل على التفاعل الثقافي بين العجر والإسبان والأندلسيين، يقول السارد: " لم يستطع أن يقاوم سهرة الأصدقاء الشهيرة على التبيد الأندلسي الذي جلبوا كرومه من هناك منذ عشرات السنين وربما من قرون وعلى الموسيقى المجنونة والفلامينكو في حي الكاليرا"<sup>1</sup>. والفلامينكو هو ذلك المزيج بين ثقافتين مختلفتين وتناج تبادل ثقافي بين العجر والإسبان، نتج عنه نمط فريد من الموسيقى وأيضاً يتضح من خلال السياق الذي ورد فيه الفلامينكو، بأنّ موسيقى العجر تذكرهم بما سيهم وأحزانهم، فيعزفون الفلامنكو في لياليهم الخمرية كما ذكر سابقاً، ربما لأنّ الفلامينكو منذ نشأته اعتبر فنّ الفقراء والمهمومين والمتمردين داخل الأقليات المضطهدة في إسبانيا كما أنّ مواضيعه غالباً ما تعبّر عن الألم والمعاناة.\* وتجدد الإشارة إلى أنّه ليس للعجر لغة موسيقية مشتركة فهم حفظوا الأغاني والموسيقى المحلية للشعوب التي شاركوها الحياة، لتغدو جزءاً من الهوية العجربة.

وبرزت الموسيقى في الرواية أيضاً في حلقات مصارعة الثيران، التي كانت تعزف موسيقى خاصّة بها "بدأت موسيقى باص دوبلي تملأ الملعب و أصداؤها تسمع في كل مكان حتّى خارج الحلقات كانت إعلاناً عن أنّ الاحتفاليّة في طريقها إلى البداية"<sup>2</sup>. فالموسيقى في حلبة المصارعة هي إعلان عن بداية معركة، بالإضافة إلى أنّها أسلوب لنشر الحماس لدى المتفرّج واللاعب على حدّ سواء، الموسيقى في حلبة المصارعة تجعل المصارع كأنّه يؤدي رقصة الموت، " بخطوات محسوبة على إيقاع الفلامينكو السريع فتح اورانوا الموليتا عن آخرها وبدأ ينفذ حركات إغوائية راقصة لجذب موريتي نحوه أكثر"<sup>3</sup>.

<sup>1</sup> الرواية ، ص 160.

\* الفلامنكو، نوع من الموسيقى الإسبانية، تعود أصوله إلى هضاب منطقة الأندلس، و يقوم أساساً على الموسيقى و الرقص، و هي موسيقى عجر إسبانيا (الخيناتوس).

<sup>2</sup> الرواية ص 316.

<sup>3</sup> الرواية ص 327.

فالموسيقى إذن هوية ، ذاكرة، تجمع بين الماضي والحاضر، هي صراع للبقاء والاستمرار في حلبة الحياة.

## 2.6- الأغنية العجريّة:

تعتبر الأغنية العجريّة أغنية شعبية، نظرا لمواضيعها الطريّة التي تستمدّها من الواقع المعاش، فالأغنية العجريّة عبارة عن موروث ثقافي وذاكرة تاريخية، سجّلا لعجر من خلالها تاريخهم، وحفظوه، وتناقلوه من جيل إلى جيل، الأغنية الشّعبية العجريّة هي جزء من هويّة العجر فطالما كانت وسيلة للتعبير عن الوجدان الجمعيّ العجري.

"عرف العجر ارتباطهم بالموسيقى عزفا وغناء ورقصا وكانت مواهبهم سببا رئيسيّا في حصولهم عن قدر من الصّفح والتسامح"<sup>1</sup> فعلى الرّغم من العنصريّة التي يعاني منها العجر، إلا أنّ الغناء له دور في التخفيف من حدّة هذه العنصريّة، والرّفص الذي يطارده العجر في أي مكان ويظهر هذا من خلال الحديث الذي دار بين مدام ميشلين والشرطي: "... افرحوا الرّكاب في القطار بغنائهم ورقصهم طوال الرّحلة ورقص معهم كل من رغب في ذلك كانوا في عربة واحدة حتى لا يزعجوا بقيّة المسافرين لمسافات طويلة كثيفة وتحتاج إلى من يخفّف ويزرع فيها بعض الفرح هم فعلوا ذلك بطيب خاطر لا أعتقد أنّهم يشبهون الصّورة التي في رؤوسنا عنهم"<sup>2</sup>.

ولم يكن الترفيه وحده غاية أغانيهم، "فكثيرا ما تنشد أغانيهم الحب، الفقر والظلم والطرق الطويلة، وتغنّت لاحقا بالتوق إلى الحرّيّة والبحث في الأفق عن بديل مغاير"<sup>3</sup>.

الأغنية العجريّة، هي منبر العجر للتعبير عن معاناتهم، وقضاياهم، فهي الطريّة الوحيدة لإيصال صوتهم غير المسموع، لهذا نجد الرّوائيّ واسيني وظّفها بكثرة في رسائل مشفّرة تحمل بين طياتها معاناة هذا الشّعب

«بين سفر و سفر نكبر بسرعة

<sup>1</sup> جمال حيدر، ذاكرة الأسفار و سيرة العذاب، مرجع سابق، ص 11.

<sup>2</sup> الرواية، ص 19-20.

<sup>3</sup> جمال حيدر، ذاكرة الأسفار و سيرة العذاب، مرجع سابق، ص 11.

ينشد القلب أحلاما تركناها

وأخرى على الحافه تنتظر

نحن العجر لا نملك أحذية ننتعل الرياح والغيوم

نطير وحيث نشاء ونبيت حيث القلب يريد

بيتنا فضاء وسقفنا سماء

أرضنا سراب تنتفي فيه الحدود.<sup>1</sup>

فهذا المقطع ما هو إلاّ تعبير عن كثرة ترحالهم وتوقهم للحريّة التي تريد كل الشّعوب سلبها منهم عن طريق طمس هويّتهم وجعلهم ينصهرون في عالم يختلف عنهم.

"نحن دوما ما يؤذينا ولا نتعلّم

يحوّل قلوبنا إلى رماد ولا نتعلّم

أليس الأفضل انسحاب من حلبة الموت

أو الاكتفاء بشفرة استوكادا لا ترحم؟"<sup>2</sup>

سيبدو من خلال هذا المقطع تأثر العجر بأحكام الناس عليهم، ونظرتهم الدونية لهم، لهذا شبّهت أنجلينا العجر بالثور الذيلا يستحق شفرة الموت من أجل حياة المتادور الذي يمثّل المجتمعات الأخرى.

"ويمكن اعتبار الحنين جوهر الأغنية الشعبية"<sup>3</sup> فكثيرا ما تعكس عن الأغنية العجربة احساس العشاق بلوعة الحبّ الاشتياق والفرق.

«حبيبي الذي يسمع دمي وبكائي

<sup>1</sup> الرواية، ص 15-16

<sup>2</sup> الرواية، ص 47.

<sup>3</sup> جمال حيدر، ذاكرة الأسفار و سيرة العذاب، مرجع سابق، ص 11.



ويكتفي بالتربيت على كنفني

على هذه الأرض التي نبت النور فيها دون أن يزرع"<sup>1</sup>

وأيضاً الخيانة والخداع تقول أنجلينا:

«اتركني أنت تكذب مثل ما تتنفس

أنت مخادع وتستحق جهنم

سأخونك وأبدوأمامك ملك

لأنك لا تستحقّ عجربة وفيّة..."<sup>2</sup>

وقد اختارت أنجلينا الغناء للتعبير عن مدى حبها لخوسي ارانو وقد ساعدها في ذلك صوتها السّاحر.

"أم أقل لك من قبل أنّه من الصّعب عليك تحمّلي؟

سامحني حبيبي لقد أخطأت العجر يخطئون أيضاً

يوم أصبت بك لم أتساءل كثيراً فقد انتهيت إليك كلياً

لأول مرة أنتمى لشخص في حياتي حتى زوجي لم يروّض هبلي فقد كنت عرضي وعطر ترابي ورغباتي المجنونة وتمردتي كنت وطني الذي لم أرزق به"<sup>3</sup>

وقد تأثرت الشّعوب التي مرّوا بها بأغانيهم، فقد شبّه خوسي ارانو نفسه بالعجر حيث أنّ كلاهما لا يخاف الموت وراح ينشد أغنيته سمعها في السوق من العجر.

"نحن عجر فقط

<sup>1</sup> الرواية، ص 63.

<sup>2</sup> الرواية، ص 31

<sup>3</sup> الرواية، ص 195.

ننام حيث تحرسنا السّماء ونجّمة العاشق الولهان

لسنا من صنع الحروب

لسنا من سرق من الشّمس أشعّتها

علّمنا جدنا العجري العتيق

أنّ الحياة أكثر قداسة من الأديان

وأنّ قطرة نبيذ من حقول الرّوح

أكثر نبلا وانتشاء من أحقاد البشر"<sup>1</sup>

فهذا المقطع يعكس لنا قيمة الحرّية والحب عند العجر، فالعجر يقدسون الحب والحرية أكثر من تقديسهم للأديان.

إنّ حضور الأغاني العجرية في الرّواية عكس لنا خصائص المجتمع العجري، فهذه الأغاني هي نتاج التّجارب وانعكاس لمشاعر أحاسيس وماضي أليم.

ومعاناة مع الظلم والتّهميش لمجتمع بأكمله، فهي ذاكرة جمعيّة تعكس خصوصيّة مجتمع، توثيق أنجلينا أغاني العجر من خلال "ديسك فينيل 33" ماهو إلّا دليل أن الأغاني هي وثيقة العجر التّاريخية.

### 3.6- الرّقص:

الرّقص هو نوع من أنواع الفنون التي تقوم أساسا على إحساس الفنّان ، وقدرته على إبراز انفعالاته بالحياة، لهذا يصنّف الرّقص من الفنون التّعبيريّة، وبالأخصّ الرّقص الشّعبي، فهو "إبداع النّاس، وهو أيضا نتاج الحياة نفسها انبثق من نشاطات الناس ليعكس أعمالهم التي يقومون بها وأعيادهم واحتفالاتهم وتقوسهم التي يمارسونها.

<sup>1</sup>الرّواية، ص 101.

ليس هذا فحسب بل أنّه مرآة تعكس تاريخهم والأحوال الطّبيعية التي يعيشون فيها عاداتهم الخاصّة والاجتماعية<sup>1</sup>. لهذا اعتبر الرّقص مجالاً خصباً للدراسات التاريخية والأنثروبولوجية، اعتمد واسيني على الرّقص لإبراز ثقافة العجر، ومعتقداتهم، عاداتهم، تقاليدهم، وبالأخصّ هويّتهم التي يحاربون من أجل الحفاظ عليها وسط الظلم و الاضطهاد والتّهميش.

حرص الرّوائي على أن يبرز أهمية الرّقص بالنسبة للعجر من خلال تعدّد وظائفه فهو أولاً وقبل كل شيء "مصدر أساسي للدّخل عند الأسرة العجرية حيث أنّ امتهان التّساء هذا المضمار يعدّ مصدراً أساسياً لدخول الأسرة لذا يحرص الأب على التمسك ببناته أطول فترة ممكنة للحصول على المزيد من الأرباح لهذا يفسر ظاهرة التّنافس بين الأسر العجرية على زواج أبنائهم من مغنيّات وراقصات"<sup>2</sup>.

بالإضافة إلى كسب المال، فالعجربمارسون الرّقص لأغراض عديدة، "الرّقص مع الموسيقى يعتبر أقدم الفنون التي مارسها العجر ويرتبط عندهم بطقوس السّحر والعبادة ففي بلغاريا كانت الرّاقصات العجريّات يرشّن بالماء كتعويذة لإنزال المطر فيما يلمسون الرّاقصون من العجر في رومانيا الأطفال بغية شفائهم من الأمراض وكانت الرّاقصات العجريات في روسيا القيصريّة يتمتّعن بشعبية كبيرة خاصة لدى طبقة النّبلاء"<sup>3</sup> ولكن تبقى السّمة الأبرز للرّقص عند العجر، هي نشر الفرح والسعادة بين الناس وهذا يعكس هويّتهم تقول مدام مشلين "أفرحوا الركاب في القطار بغنائهم ورقصهم طوال الرّحلة ورقص معهم كل من يرغب في ذلك كانوا في عربة واحدة يزعج المسافرين المسافات الطويلة الكئيبة وتحتاج إلى من يخفف ويزرع الفرح هم فعلوا ذلك بطيب خاطر لا اعتقد أنّهم يشبهون الصورة التي في رؤوسنا عنهم"<sup>4</sup>، فهذا دليل على أنّ العجري يمارس الغناء والرّقص حبا في نشر السعادة حتى لو كان ذلك دون مقابل.

<sup>1</sup> فوزي العنتيل، الفولكلور ما هو؟ دراسات في التراث الشعبي، دار المسيرة، بيروت، 2، 1407هـ، 1987 م، ط2، ص 143.

<sup>2</sup> جمال حيدر، ذاكرة الأسفار و سيرة العذاب، مرجع سابق، ص 186.

<sup>3</sup> جمال حيدر، ذاكرة الأسفار و سيرة العذاب، مرجع سابق، ص 185.

<sup>4</sup> الرواية ص 19، 20.

ويخضع الرقص عند العجر إلى مجموعة من القوانين سواء تلك التي تخص اللباس، أو تتعلق بالحركات التي يؤديها الراقص حيث يرتدي الراقص أو الراقصة أحذية مزودة بكعوب لضرب الأرض بقوة، للحصول على إيقاع موازي للحركات المؤدات، والمتناسقة مع الموسيقى والغناء، وحمل صنوج خشبية أو عاجية تحمل في الأيدي، للحصول على المزيد من النقرات، إلى جانب التصفيق باعتباره ميزة إيقاعية تضاف إلى بقية آلات الإيقاع، ولا شك أنّ العجريات يعتمدن على فساتينهنّ الفضفاضة والمزركشة فهي الأنسب لرقصهنّ، رقص العجر لا يخلو من الإيحاءات و التعابير، فالحركات التي يمارسونها ما هي إلاّ تعبير عن الظلم، الاضطهاد والتهميش الذي يعانون منه، والذي يجبرهم على البقاء والمواصلة بل التمسك بالهوية والعادات والتقاليد وقد جسّد الروائي هذا الصّراع من خلال رقصه أنجلينا مع مرافقها الذي تقمص دور الثور "كانت المرأة ترقص على إيقاع عازف الجيتارة والمانجو نغمات الكاستانيات على رؤوس أصابعها كانت إيقاعا شهيا مقابلهما شخص من المجموعة يضع رأسه قبعة بقرنين على المرأة كأنه ثور يصرخ الحاضرون يصرخ الحاضرون أنجلينا حضري الثور يهجم عليك تفتح فلتقتين لباسها الأسود فيظهر الأحمر للباسوكأنه مولتنا في يد متادور امرأة.

يركض نحوها الرّجل ذو القرنين فتفاداه بحركة صغيرة لتنتهي بين أرجل الجمهور الذي كان يضحك عاليا بينما تواصل أنجلينا غنائها ورقصها"<sup>1</sup>، فمن خلال هذا اللوحة الفنية أورد الروائي أن يحاكي صراع البقاء لدى العجر وإيمان العجر أنّ الحياة ما هي إلاّ حلبة مصارعة والبقاء للأقوى.

جاء الرقص أيضا في الرواية ليعبّر عن الحب، باعتباره من أهمّ المقدّسات عند العجر حيث أنّ العجر لا يغفرون ارتكاب الرذيلة لبناتهنّ إلاّ إذا مارستها الفتاة لأنها تحب، فالحب عند العجر مقدس هو المهرب الوحيد لهم من المآسي التي يعيشونها، وهذا يظهر من خلال رقصة أنجلينا وخوسي يقول خوسي لأنجلينا التي أتته هاربة من واقعها المحزن حين طلبت منهموسيقى راقصة يقول خوسي: "ماذا تفضلين؟"

<sup>1</sup>الرواية، ص 31.

أيّ شيء مجنون وراقص يخرجني من دوامة البؤس التي أنا فيها عليك أن تحملني في النهاية ههه  
برغبة أن أغادر هذا العالم ولا أرى أحد غيرك التصقت بجسده قبل أن تتحرّر منه كلياً ولا يبقى  
إلا ملمس الأصابع دارت في مكانها وكأنها تسبح في الفراغ رأّت الطيور والغيوم واسعة الشمس  
الناعمة التي لم تكن قادرة على فتح عينيها فيها.

لو كنت أريد أن أرتاح كنت نمت أريد الرقص أكثر حبيبي أن أرقص حتى يتبخّر كل شيء من  
أمام عيني....

شايف يا خوسيه هكذا ستبقى معي ولن تهرب مني هذا كلّ من بؤس الغجر أنا أدافع عنهم  
لكن حياتهم زفت وكراهية"<sup>1</sup>.

فالملاحظ أن أنجلينا المتمردة وجدت في الموسيقى والحب مهرباً من حياة البؤس، التي تريد التحرر  
منها، من ماضيهم المؤلم الذي يسعى الغجر إلى نسيانه، فالرقص هنا لم يعد تلك الوسيلة  
للتعبير عن الفرح، بل هو طريقة للتعبير عن المعاناة، عن طريق الرقص مع الحبيب ويظهر أيضاً  
ارتباط الحب بالرقص من خلال الرقصة التي أدّتها أنجلينا مع خوسي عندما "سحبته بقوة نحوها  
لم يبد خوسيه أيّة مقاومة بل شعر باستفزاز عميق ترنّح قليلاً من مكانه مدّ يده إلى الأمام ثم  
بدأ يرقص في تواتر بقدمين محاذيتين لبعضهما تسمع الطقطقات من بعيد..... فجأة نسي  
خوسي كل ما كان يحيط به وتخلت أنجلينا عن كل شيء دفعت بنفسها كلياً في دوار الرقصة لم  
تصدق عينيها القويتين المائلتين كعيني نمر خوسي اورانو يراقصها؟ وهي التي أحبته عن بعد....  
استمرت الرقصة طويلاً في انسجام كلي بينهما"<sup>2</sup>. فمشاعر الحب بين أنجلينا وخوسي ظهرت  
على شكل لوحة فنية نقلتها من عالم الحقيقة إلى عالم الحب المنشود عن الغجر.

#### 4.6- الحرف اليدوية:

<sup>1</sup>الرواية، ص 95 – 96.

<sup>2</sup>الرواية، ص 32.

هي من الفنون التي تعتمد على المهارات اليدوية، والمواد الخام البسيطة المتوفرة في الطبيعة وميزة الحرف اليدوية أنها مهارات مكتسبة يمكن تعلّمها وممارستها بحرفيّة، فمن امتلك المهارة في الأعمال اليدوية فقط امتلك مصدرا ممتازا للدخل.

وتكمن أهمية الأعمال اليدوية في أنّها تشكل جزءا مهما من ثقافة الشّعوب، ومن خلالها يمكن فهم طبيعة عيش المجتمعات ظروفهم مستواهم المادي، وكذلك تراثها الشّعبي لهذا عمد الروائي وسيني الأعرج إلى استحضار الأعمال اليدوية للغجر كيف ولا هي انعكاس لهويّة مجتمع الغجر فمن خلال المهن والأعمال اليدوية التي يمارسونها يمكن أن نفهم العديد من الأمور عنهم، حيث جاء في المتن الروائي " فحاة انطفأت حركة أنجلينا في البيت ولكن أيضا في السوق لم يعد صوتها يسمع ولا سخريتها ولا سموا عطرها الحاد الذي تصنعه من دبس الرمان والمراهم الأفريقية وعطر البنفسج البري وخلاطات لا أحد يعرفها تصنعه بيديها برفقة صديقاتها من الغجريات للعلم هارون نعوم يهودي الذي يأتي من الدرب حتى الكميلمرة في الأسبوع ليأخذه للبيع القرية التي يعتبرها مورده الأساسي في أشياء كثيرة يصنعها الجزر مثل الأطباق والأدوات الفخارية.

وازراي الغجرية المطقوقة والرخيصة لأنها مصنوعة من الحرير أو الصوف الثانوي"<sup>1</sup> فحضور الحرف اليدوية يكشف العديد من الأمور التي تعكس مجتمع الغجر هويتهم وثقافتهم، فالأعشاب الطبيعية كدبس الرمان البنفسجي البري والمواد الخام الطبيعية والبسيطة التي يعتمدون عليها، يمكن الحصول عليها من أيّ مكان وفي أيّ زمانكما، أمّا رخيصة وغير مكلفة فالغجر قوم يسعون لكسب رزقهم بأنفسهم.

يقول ميغل صديق أنجلينا: "لا تقل هذا الكلام يخصني أنت تعرف شيئا أنجلينا امرأة شجاعة تواجه قدرها بكرامة لقد أوقعت الفرقة ومنحت كل مناو لها لصناعة الصّوف وآليتها والطور للنساء وكانت قد علّمتهم الحرفة التي أخذتها عن أمها ومن جدّتها ومن المهاجرين الاندلسيين"<sup>2</sup> فقد سعى الرّوائي من خلال شخصية أنجلينا الغجرية التي تسعى أن تواجه قدرها بكرامة أن يسقط صنعة التّسول والسّرقة عن الغجر، كما نلمس من خلال ميغل السابق

<sup>1</sup>الرواية، ص 223.

<sup>2</sup>الرواية، ص 226.

انثورات العجر مزيج بين إرث ثقافي توارثه العجر أيقونة حرفة صناعة العطور عن أمها ومن جدتها وكذلك من المهاجرين الذين احتكوا بهم وهنا تكمن ميزة العجر، المعروف أيضا على مجتمع العجر اعتمادهم بشكل كبير على المرأة في مصادر الدخل لهذا كانت أنجلينا تعلم النساء الحرف اليدوية ليساهمن في مصاريف عائلاتهن كما تسعى من خلال الحرف اليدوية إلى تحسين المستوى المعيشي حيث تقول: "كنت أفكر أنأفتح في المارشياً وحتى في لكاليرا محلاً لبيع العطور اليدوية والمرام التي تنشط الجسم والصناعات اليدوية مثل ما فعلت خالتي وأقلل من حياة العجر الصعبة"<sup>1</sup>

وبالتالي فإن الأعمال اليدوية عند العجر هي مصدر من مصادر دخلهم وهي تخص طبيعة حياتهم التي تقوم على الترحال، البساطة كما أنها تعكس ثقافتهم إلى حد كبير.

<sup>1</sup>الرواية، ص 292.

الخاتمة



## خاتمة:

بعد تعرّضنا لرواية "العجر يجبون أيضا" لواسيني الأعرج، وبعد قيامنا بمقاربة أنثربولوجية توصلنا لمجموعة من النتائج، يمكن صياغتها في مجموعة من النقاط:

- تعتبر الرواية حقلا أنثربولوجيا بامتياز، نظرا لغناها بالمعطيات الأنثربولوجية الاجتماعية والثقافية، فكانت الرواية بمثابة سجل تاريخي لمجتمع العجر.
  - استطاع الروائي من خلال روايته "العجر يجبون أيضا" أن يجيذاكرة شعب لطالما همّش، حيث ركزت الرواية على مجتمع العجر باعتباره مجتمعا مهمّشا يعاني الاضطهاد، والعنصرية، ومنه اتخذ "واسيني الأعرج" هذا المجتمع نموذجا للمهمّش مطلقا.
  - سلّطت الرواية الضوء على قيم العجر كالحب، الحرّية، الوفاء، كما رصدت النظم الاجتماعية المتحكّمة في علاقتهم.
  - كما أتاحت لنا دراستنا الأنثربولوجية لرواية "واسيني الأعرج" التعرف على خصوصيّة العجر، فهم قوم لا وطن يوحدهم، طالما آمنوا أنّ الأرض وطنهم، فلا أصل لهم سوى عاداتهم وتقاليدهم التي تعكس هويّتهم التي يسعون للحفاظ عليها خوفا منهم أن تضيع بين ثقافات الشعوب لكونهم مجتمع عابر للثقافات، وقد اتّضحت هذه النقطة أكثر من خلال دراسة الفنون عند العجر.
  - ما ميّز الرواية أنّها جاءت لنصرة العجر وانتشالهم من ظلام العنصريّة، وقد وفق الأديب إلى حد بعيد في تحقيق هذه الغاية.
  - إنّ "واسيني" من خلال روايته مجدّ العجر لا لبطولاتهم التاريخيّة بل لأنّهم دافعوا عن أنبل قيمتين إنسانيّتين وهما: الحب والحرّية.
- وختاما يمكننا القول أنّنا حاولنا القيام بمقاربة أنثربولوجية لرواية "العجر يجبون أيضا" قصد فهم هذا المجتمع أكثر من خلال مضامينه الاجتماعية والثقافية، ويبقى عملنا اجتهاد بشريّ يستحيل كماله، فما كان من فضل وتوفيق فمن الله سبحانه وتعالى، وما كان من تقصير أو إخفاق فمن أنفسنا، وما كان تقصيرنا عن عمد، والحمد لله رب العالمين.

الملاحق

## "واسيني الأعرج"

"روائي وجامعي جزائري، ولد سنة 1954 بقرية سيدي بوجنان، من ولاية تلمسان، يشتغل اليوم منصب أستاذ كرسي بجامعة الجزائر المركزية والسريون بباريس، يعتبر أحد أهم الأصوات الروائية في الوطن العربي.

يكتب "واسيني الأعرج" باللغتين العربية والفرنسية، على خلاف الجيل التأسيسي الذي سبقه تنتمي أعماله إلى كتاب الرواية الجديدة التي لا تستقر على شكل واحد بل تبحث دائما عن سبلها التعبيرية في العمل الجاد على اللغة وهزّ بتقنياتها، فاللغة عنده ليست معطى جاهزا ولكنها بحث دائم ومستمر".

من بين أهم أعماله:

- نوار اللوز، الحداثة، بيروت، 1983.
  - مصرع الأحلام مريم الوديعه، الحداثة، بيروت، 1984.
  - رمل المائة.
  - سيدة المقام، دار الجمل، ألمانيا، الجزائر، 1995.
  - ذاكرة الماء، دار الجمل، ألمانيا، 1997.
  - حارسه الظلام، الطبعة الفرنسية، 1996، الترجمة، 2009.
  - مرايا الضّير، باريس للطبعة الفرنسية، 1998.
  - شرفات بحر الشمال، دار الآداب، بيروت، 2001.
  - مضيق المعطوبين، الطبعة الفرنسية، 2005.
  - سوناتا لأشباح القدس، دار الآداب، بيروت، 2009.
- كما لا ننسى رواية "العجر يحبون أيضا" التي كانت موضوع بحثنا.

حصل "واسيني" على العديد من الجوائز من بينها:

- الجائزة التقديرية من رئيس الجمهورية سنة 1989.
- جائزة الرواية الجزائرية سنة 2001.

- جائزة قطر العالمية للرواية سنة 2005.
- جائزة المكتبيين على روايته سنة 2006.
- جائزة الآداب (الشيخ زايد) سنة 2007.
- جائزة الكتاب الذهبي في معرض الكتاب الدولي على روايته كريما توريوم (سوناتا لأشباح القدس) سنة 2008.
- ترجمت أعماله إلى العديد من اللغات الأجنبية من بينها: الفرنسية، الألمانية، الإيطالية، السويدية، الانكليزية، الإسبانية والعبرية....<sup>1</sup>

<sup>1</sup>كمال الرياحي، واسيني الأعرج دون كيشوت الرواية العربية، هكذا تحدث واسيني، الشركة الفرنسية للنشر وتنمية فنون الرسم، تونس، د.ط، ص 8، 7 (بتصرف).

## ملخص الرواية:

أول ما يصادفنا افتتاحية من شأنها أن تكون في النهايات من حيث الترتيب الزمني والمكاني، حيث فسح الروائي لإزميرالدا فسحة التقديم لحكاية مكتوبة بالغياب، بطلا الرواية هما والدا إزميرالدا ثمرة حبهما، حيث إلتقيا صدفة عند بوابات كوريدا وهران، لتنشأ بينهما قصة حب عنيفة.

تدور أحداث الرواية في مدينة وهران ملتقى الثقافات وأحد أهم المعالم التاريخية وبالضبط في فترة الخمسينيات، تحكي الرواية عن تواجد العجر والعديد من الأجناس والأعراق في هذه المدينة، رصد لنا الروائي واقع العجر من خلال البطلة "أنجلينا العجرية" المتمسكة بتاريخها وبغجريتها والمتمردة في الوقت نفسه على عاداتها العجرية، فهي طواعة للحب والحرية، حيث تعيش "أنجلينا" قصة حب مع المتادور "خوسي أورانو" وهو مصارع ثيران محبوب من طرف الوهراتيين وغيرهم من الأجناس وقد تعلم هذه الرياضة على يد معلمه "أنطونيو دي غاليسا" وهو يعلمها للأطفال الصغار بدوره. تحمل أنجلينا تاريخاً مؤلماً وماضٍ سحيق عاشه أجدادها من العجر الذين تعرضوا لأسوأ إبادة من قبل النازية.

تبدأ قصة حي أنجلينا و"خوسي" برقصة أمام زوجها "غارسيا" الرجل المتطرف الوجه المظلم للعجر، حاول غارسيا إيقاف هذا الحب بكل الطرق لكنه لم ينجح، وكيف لا وهو "خوسي" النجم الذي تعشقه جميع الفتيات، وهو لأنجلينا الفتاة العجرية الجميلة، التي تنبض بالحياة، المتمردة على الأعراف فهي لا تقيم وزناً لزوجها غارسيا.

إلى جانب استحضار الكاتب لتاريخ العجر، يستحضر أيضاً تاريخ الجزائر من خلال شخصية "أحمد زبانا" ليتفاجأ أيضاً بأنّ والد "أنجلينا" من المساندين للثورة والرافضين للإستعمار، فقد ألقى القبض عليه بتهمة تهريب الأسلحة، وقد كان هذا سبب انفصال أنجلينا عن خوسي لفترة من الزمن ليعودا في الأخير لأن حبهما أقوى من كل الظروف، و يقرر بعدها "خوسي" ترك رياضة مصارعة الثيران و الرّحيل هو و حبيبته بحثا عن السلام، لكن قبل هذا كان عليه أن يخوض المنازلة الأخيرة، وهي الكوريدا التي لقي فيها حتفه بسبب ثور عنيف أبي الإستسلام، وبرغم موت خوسي

إلاّ أنّ "غارسيا" لم يمت حقه، ليقتل "أنجلينا" في نهاية المطاف لكن رغم وفاة كلا من أنجلينا وخوسي إلاّ أنّ حبّهما بقيّ حيّاً بحياة ابنتها "إزميرالدا" أيقونة عشق غجرية مع مصارع ثيران إسباني.

# قائمة المصادر و المراجع

## المصادر:

القرآن الكريم

واسيني الأعرج، العجر يجبون أيضا، بغدادي للطباعة و النشر، الجزائر، 2019، ط2، 2019.

## المراجع العربية:

ابن خلدون الحضرمي الإشبيلي، رحلة ابن خلدون، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط1، 2004م.

عيسى الشماس، مدخل إلى علم الإنسان، اتحاد الكتاب العرب، دمشق، سوريا، د.ط، 2004.

جمال حيدر، العجر ذاكرة الأسفار وسيرة العذاب، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، المغرب، ط1، 2008، ص 108.

ابن خلدون عبد الرحمان، مقدمة ابن خلدون، تحقيق: علي عبد الواحد وافي، القاهرة، مصر، (د.ط)، 1966م.

حسين فهميم، قصة الأنثروبولوجيا، سلسلة كتب ثقافية شهرية، المجلس الوطني، للثقافة و الفنون و الأداب، الكويت، (د.ط)، 1978.

خواجة عبد العزيز بن محمد، محاضرات في الأنثروبولوجيا الاجتماعية و الثقافية، غرداية، الجزائر، (د.ط)، 2014-2015.

محمد الجوهري، المفاهيم الأساسية في الأنثروبولوجيا (مدخل لعلم الإنسان)، جامعة الإسكندرية، مصر، (د.ط)، 2008م.

أحمد بن نعمان، سمات الشخصية الجزائرية من منظور الأنثروبولوجيا النفسية، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، (د.ط)، 1988م.



- عبد الوهاب جعفر، البنيوية في الأنثروبولوجيا و موقف سارتر منها، دار المعرفة، الإسكندرية، 1980م.
- إبراهيم ناصر، الأنثروبولوجيا الثقافية (علم الإنسان الثقافي)، عمان، بيروت، (د.ط)، 1985م.  
علاء جواد كاظم، الفرد و المصير، بحث في الأنثروبولوجيا الثقافية، التنوير، بيروت، لبنان، ط1، 2011م.
- إبراهيم أنيس، عبد الحليم منتصر، عطية الصوالحي، محمد خلف الله أحمد، المعجم الوسيط، معجم اللغة العربية، مكتبة الشروق الدولية، ط4.
- إبراهيم ناصر، الأنثروبولوجيا الثقافية، (علم الإنسان الثقافي)، دار الفكر، عمان، الأردن، (د.ط)، 1985م.
- حسن عبد الحميد، أحمد رشوان، الأنثروبولوجيا في المجال النظري، الإسكندرية، مصر، ط1، 1988م.
- محمد الجوهري، الأنثروبولوجيا، أسس نظرية و تطبيقات علمية، دار المعرفة الجامعية، الإسكندرية، (د.ط)، 1997م.
- عبد الرحمان يتيم، دفاتر الأنثروبولوجيا، سير و حوارات، دار فارس للنشر و التوزيع، عمان، ط2، 2004.
- يوسف قطامي، عبد الرحمان عدس، علم النفس العام، دار الفكر، عمان، الأرنند، ط1، 2002م.  
حسين عبد الحميد أحمد رشوان، الأنثروبولوجيا في المجالين النظري و التطبيقي، الإسكندرية، مصر، ط2، 2009م.
- محمد الخطيب، الأنثروبولوجيا الاجتماعية، دار علاء الدين، دمشق، سوريا، ط1، 2005م.
- مصباح عامر، مدخل إلى الأنثروبولوجيا، دار الكتاب الحديث، 2009م.
- راغب أحمد الخطيب، دراسة في علم الاجتماع، دار الإعصار العلمي للنشر و التوزيع، عمان، ط1، 2011م.
- عز الدين إسماعيل، الأدب و فنونه، دار الفكر العربي، القاهرة، 2013.

- لأبي عرفات محمد بن بنية علي ضيف الله، الأدب الأدب، مكتبة العلوم و الحكم، ط1، 2015.
- سيدي ادريس عمار، الأنثروبولوجيا و جغرافية السكان، دار الحامد للتوزيع و النشر، الأردن، عمان، ط1، 2015م/1436هـ.
- جمال معتوق، الأنثروبولوجيا الفروع و المداخل النظرية، دار الكتاب الحديث، ط1، 2016م.
- سهام بودروعة، محاضرات في التحليل الأنثروبولوجي للأدب، كلية الآداب، جامعة 8 ماي 1945 قلمة، الموسم الدراسي 2018-2019م.
- عباد أبلال، أنثروبولوجيا الأدب، روافد للنشر و التوزيع، القاهرة، ط2، 2015م.
- نظال محمد فتحي الشمالي، قراءة النص الأدبي، مدخل و منطلقات، دار وائل للنشر و التوزيع، الأردن، ط1، 2019.
- نخبة من أعضاء هيئة التدريس بقسم الأنثروبولوجيا، مقدمة في الأنثروبولوجيا، دار الجامعية، 2010م.
- نادية موات، تجليات الأنثروبولوجيا الثقافية في رواية "العجر يجون أيضا" لـ "واسيني الأعرج"، مجلة دراسات وأبحاث، مجلد 14، عدد 2، أبريل 2022.
- حميد الهاشمي، تكيف العجر، دراسة أنثروبولوجية اجتماعية لجماعات الكاولية في العراق، (د.ط)، مكتبة الفكر الجديد، د.ت.
- أديب أبي ضاهر، عادات الشعوب وتقاليدها، دار الشواف للنشر، 1993، ط1.
- كريمة نوادرية وسعاد زدام، التراث الشعبي المفهوم والأقسام، مجلة ميلاف للبحوث والدراسات، العدد 5، المركز الجامعي عبد الحفيظ بو الصوف، ميلة، الجزائر، جوان.
- نهاد محمد صادق، التراث الزخرفي للعجر حول العالم بين الماضي والحاضر، مجلة العمارة والفنون والعلوم الإنسانية، عدد خاص (02)، أبريل 2021.

كلود عبيد، الألوان (دورها، تصنيفها، مصادرها، رمزيتها، ودلالاتها)، مجد المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع-بيروت، ط1، 2013م.

صباح بنت الهبكلي، دراسة تاريخية لمكلمات الأزياء عبر عصور التاريخ المختلفة، المجلة العلمية لكلية التربية النوعية، ع 3، يناير 2015، نقلا عن عابدين عليه، دراسة في سيكولوجية الملابس، دار الفكر، ط1، القاهرة.

حنا بطرس، نظريات الموسيقى، ج1، (مبادئ الموسيقى)، تاملوكية، بغداد، 1945، ص 4.  
داليا حسين، الموسيقى وأهميتها في حياة الفرد والمجتمع، مجلة الموسيقى العربية، مجلة الدول العربية، أيار 2015/02 تم الإطلاع عليه حزيران 2022.

فوزي العنتيل، الفولكلور ما هو؟ دراسات في التراث الشعبي، دار المسيرة، بيروت2، 1407هـ، 1987 م، ط2.

## المراجع المترجمة:

الطنجي (شمس الدين أبي عبد الله محمد بن عبد الله اللواتي)، تحفة النظار في غرائب الأمصار و عجائب الأسفار، تر: عبد الله النازي، الرباط، المملكة المغربية 1997م، مج2.

بيرني ج. بيلشو، دراسة أنثروبولوجية (المفهوم و النشأة) تر: كاظم سعد الدين، بيت الحكمة، العراق، ط1، 2010م.

رالف لينتون، الأنثروبولوجيا و أزمة العلم الحديث: تر: عبد المالك الناشف، المكتبة العصرية، بيروت، لبنان، (د.ط)، 1967م.

كلود ليفي ستراوش، الأنثروبولوجيا البنيوية، تر: د. مصطفى صالح، منشورات وزارة الثقافة و الإرشاد القومي، دمشق، سوريا، د.ط، 1997م.

أليكسندرو دورانت، تر: فرانك درويش، الأنثروبولوجيا الألسنية بين النهضة، بيروت، ط1، 2013م.

أليكس أنكر، مقدمة في علم الاجتماع، تر: محمد الجوهري و آخرون، دار المعارف، القاهرة، ط6، 1983م.

### المواقع الإلكترونية:

محمد جميل خضر، موسيقى الغجر، ألوان دروب وتباريح وتر، 8 يناير 2008، عن موقع:

<http://diffah.aharly.co.uk>

أميرة بدرالوجود، تعريف العنصرية لغة واصطلاحا، نشر في 23 أكتوبر 2019،

<http://www.mosoah.com>

علم الإنسان الثقافي [ar-m-wikipedia.org](http://ar-m-wikipedia.org)

<https://www.almaany.com/ar/dict/ar-ar>.

<https://www.maajim.com/dictionary>.